سلسلة « ابحاث فلسطينية » ــ رقم ١١

الحكم غيابيًّا

القضيّة الفلسطينية في نظر العالم الغربي

خالد قشطيني



منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث

الحكم غيابياً

القضية الفلسطينية في نظر العالم الغربي

VERDICT IN ABSENTIA
KHALID KISHTAINY
PALESTINE ESSAYS No. 11
P. L. O. RESEARCH CENTER
Colombani St. off Sadat St.
Beirut, Lebanon

سلسلة « ابحاث فلسطينية » — رقم ١١

الحكم غيابياً

القضيّة الفلسطينية في نظر العالم الغربي

خالد قشطيني

منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث

آب (اغسطس) ١٩٦٩

محتويات الكتاب

تمهيـــد

أصدر العالم الغربي حكمه في القضية الفلسطينية قبل أن يسمع وجهة النظر العربية ، مكتفيا بسماع وجهة النظر الصهيونية ، مع ما قدمه الصهيونيون من اكاذيب ومزاعم وحجج باطلة . ومنذ عشرات السنين والعرب ، وخاصة الفلسطينيين ، يشكون من هذا الحكم ، من قراره ومن طريقة اتخاذه .

تحاول هذه الدراسة ان تعطي صورة واضحة ودقيقـــة لهذا الحكم الغربي الجائر الذي اشترك بصنعه خبث الدعاة الصهيونيين مع تحيز العالم الغربي المسبق مع الجهد الاستعماري في تزوير الحقائق مع تقصير الاعلام العربي .

وقد وضعت الدراسة باللغة الانجليزية ، وتنشر باللغتين في آن واحد . ويمكن اعتبارها حلقة جديدة من سلسلة المعالجات التي يقوم المركز بتعهدها حول موضوع الاعلام العربي لوضع خطة مناسبة لهذا الاعلام ، خاصة وان المؤلف باحث عربي يعمل في حقول مرتبطة بالاعلام منذ سنين في بريطانيه وعلى صلات قوية مع وسائل الاعلام الغربية بحيث يعرف الكثير عن تحيزها ضد العرب وعن خضوعها للاغراءات والوسائل الصهيونية .

انيس صايغ

المدير العام لمركز الابحاث

« أنا أعرف انهم يسمـّون الحمار حصانا عندما يريدون بيعه ، والحصان حمارا عندما يريدون شراءه ، ولكن هل هذه هي القصة كلها ؟ . . .

فما تشاهده عيناك شيء مغر ، وعاجلا أم آجلا سيقبل به الجميع » .

جاليليو
(بيرتولت برخت)

(١)

جنود الطباعــة

ان احد العناصر البارزة في تاريخ الصهيونية هو وجود عدد كبير من رجال الصحافة بين قادتها ، فباستثناء الدكتور حاييم وايزمن والقاضي براندیز ، كان كل سياسي صهيوني صحفيا ، فمثلا : تيودور هرتزل ، موسى هس ، بنجوريون ، بن زفي ، ناخمان سايكرين (زعيم « عمال صهيون ») ، نـاحوم سوكولو (رئيس المنظمـة الصهيونية العالمية) ، الدكتور ماكس نوردو ، فلاديمير جابوتنسكي (رئيس المنظمة الصهيونية الجديدة) ، هاري سكر وجاكوب دي هاس ، كانوا جميعا من الصحفيين ، فمنذ ولادة الحركة كان هناك تركيز على الدعاية والاعمال العلنية . وعندما لم يتمكن هرتزل من اصدار صحيفة يومية كبيرة لتنطق باسم الحركة رضي بالاشراف على « مراسلات الشرق » . والنجاح الباهر الذي حققته الحركة على صعيد السيطرة على الصحـافة اليهودية كان في الاستيـلاء على صحيفة « جويش كرونيكل » اللندنية . وبمجيء العام ١٩٣١ كان هناك ٢٠٤ صحف صهيونية تصدر في جميع انحاء العالم بالاضافة الى ٥٠ صحيفة مناصرة للصهيونية (١) .

لقد وضع هرتزل استراتيجية الصهيونية كما يلي : « مزيدا من العلنية على أوسع نطاق . لتسخر منها أوروبه ولتشتمها ، باختصار ، لتتحدث عنها » (٢) . استطاع مؤسس المنظمة الصهيونية ، والمراسل

---

(١) ــ تقرير اللجنة التنفيذية الى المؤتمر الصهيوني السابع عشر ، بالانجليزية ، ص ١٨ .

(٢) ــ مذكرات هرتزل الكاملة ، بالانجليزية ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

والمعلق الشهير في « نيوفري برس » الواسعة الانتشار ، ان يتنبأ بأحد العناصر الجوهرية في فن الاعلان المعاصر . فكل ما يهم هو الضجة ، هذا ما كان يؤكده هرتزل دائما .

عندما عقد المؤتمر الصهيوني في بال في ١٨٩٧ ، كانت فلسطين خاضعة لحكم السلطان عبد الحميد الذي كان يعارض الاستيطان الصهيوني في الاراضي المقدسة خوفا من أن يفقد قطعة أخرى من الامبراطورية العثمانية المتداعية ، كما ان فرنسه كانت تعتقد ان البرنامج الصهيوني هو جزء من الزحف الالماني نحو الشرق ، بينما لم يبد القيصر اي اهتمام بسبب تحالفه مع تركيه . وبالنسبة للفاتيكان والعالم الكاثوليكي من ورائه ، فانه لم يكن يرغب في رؤية القدس تحت سلطة اليهود . وكانت الجماهير في اوروبه واميركه تنظر للموضوع كفكرة مستحيلة وخيالية ، وكثيرا ما كانت تروي النكات حول المطامح القومية لليهود . ويقول هرتزل في مذكراته أن اقرب اصدقائه اليه كانوا يعتبرونه مجنونا . لذلك ، اذا كان برنامج بال سيرى النور ، فيجب التغلب على هذه المعارضة العامة بالنقاش والاقناع .

ومع ذلك ، فلم يعارض الاغيار الصهيونية كما كان اليهود أنفسهم يعارضونها . والمعارضة هنا جاءت من جبهتي الكيان السياسي الاوروبي . ففي أوروبه الشرقية ، حيث كان يعيش المهاجرون المنتظرون ،كان الثوريون والاشتراكيون بشكل عام بقيادة البوند (التحالف العلم للعمال اليهود) يدعون الجماهير اليهودية الى ان معركتها يجب ان تكون على الارض التي تعيش عليها وضد الطبقات الحاكمة . فالهجرة تعني الانهزامية وعودة اليهود الى فلسطين جزء من المخطط الامبريالي . وهكذا كان على الصهيونيين ان يواجهوا نظام الفكر الماركسي الجذاب بجميع الوسائل الفكرية التي كانت في متناول يدهم . ومن الناحية المقابلة ، رأت الطبقة البورجوازية الغنية خطرا في التصادم الاكيد بين الولاءات اليهودية خاصة وان هؤلاء الاثرياء اليهود كانوا لتوهم قد حصلوا على حقوقهم السياسية والمدنية حول مسألة الوطنية والولاء الوطني من الحكومات

المسيحية بعد معركة طويلة معها . وقد كان هناك خوف من ان تثير قضية الدولة اليهودية في فلسطين السؤال القديم : « هل ينتمي اليهودي الى وطنه في المانيه وفرنسه أم الى فلسطين ؟ هـل هو مواطن انجليزي مخلص ؟ هل عندهشعور بالوطنية والولاء لبلاده ؟ » لم يهتم الصيارفة بالاجابة على هذه التساؤلات ، وحتى انهم لم يرغبوا في اثارتها ، فقد كانوا يعرفون ان القادة الصهيونيـين سيطلبون نقودهم حالما يريدون تطبيق برنامجهم ، لذلك وقف روتشيلد ودي هيرش ومونتفيوري ومونتاجيو بصلابة ضد برنامج بال . ومن هنا كانت مهمة كسر هذه المعارضة تتطلب استخداما ذكيا للقلم ، لذلك قضى هرتزل الاشهر الطوال في كتابة خطابه الى روتشيلد ، ذلك الخطاب الذي يعد من أطول ما كتب.

اما الفقراء الذين لم تجذبهم الاشتراكية فقد فكروا في الذهاب الى العالم الجديد بدلا من فلسطين ، والاغنياء الذين أرادوا تنفيس الضغط الثوري المتزايد في صفوف البروليتاريـا اليهودية بواسطة الهجرة ، فكروا في الذهاب الى الارجنتين وشرق افريقيه بدلا من فلسطين ، لذلك فمهمة اعادة توجيه هذه المجموعات توجيها صهيونيا باتجاه صهيون كانت تتطلب ايضا خدمات الكتّاب .

ان هذا هو السبب الذي جعلنا نشهد صدور عدد من الصحف والنشرات الدورية في جميع المراكز اليهودية وعواصم الدول المهمة بالنسبة لليهود بما في ذلك استانبول ، وقد كانت كل منها تتحدث على صعيد مختلف وبصوت مختلف في اكثر الاحيان .

كذلك فان وقوع فلسطين تحت سيطرة بريطانيه البرلمـانية ، واقامة نظام الانتداب والقرار بنقل القضية الى الامم المتحدة لتبـت بمصير فلسطين ، تطلب المزيد من فن الدعاة بشكل اقناع واعلام وترغيب ودعاوة .

وكان على اسرائيل بعد ١٩٤٨ ان تعمل على جذب اليهودي الممتنع الى فلسطين او جعله يدفع لها التبرعات باستمرار لتبقى العجلة مستمرة في الدوران ولدعم الدولة غير القابلة للحياة . وهذا

ما جعل جمع التبرعات الصناعة الحقيقية لاسرائيل والدعاوة أساسا لعمل محصلي التبرعات .

لم تكن هذه الحاجات هي العوامل الوحيدة التي جعلت اسرائيل تؤكد على عمل الدعاة . فقد كان بين اليهود نسبة كبيرة من الكتاب والفنانين والصحفيين . وتواجد اليهود في عالم الكلمة بهذا الشكل المكثف التنافسي الحاد جعل عددا من الاغيار يتحولون الى اللاسامية وجعلت عددا من المناهضين للسامية يعتقدون ان هناك مؤامرة يهودية مخفية للسيطرة على العالم من خلال الاشراف على مختلف وسائل الاعلام فيه . والحقيقة ان سبب وجود هذه الظاهرة هو الوضع التاريخي الشاذ لليهود ، فقد حرمهم المسيحيون الغربيون فيما مضى من الزراعة ومن تشكيل النقابات والانضمام اليها ، بينما الشعائر الدينية لليهودية وخاصة السبت جعلت من المستحيل بالنسبة لليهود الانضمام الى بروليتاريا المصانع . وباستثناء التجارة والصيرفة ، لم يعد امامهم سوى المهن الحرة . ومن هنا احتلت الصحافة المقام الاول بسبب ثقافة اليهود وحبهم التقليدي للعلم ، فان الواحد منهم كان يتكلم اكثر من لغة واحدة ، كما عاش في اكثر من بلد واحد واجرى اتصالات عالمية ممتازة . لذلك كان من الطبيعي ان يكون أفضل الصحفيين من بين صفوفهم . وبتزايد الاعتماد على الاعلانات التجارية وبتراكم رأس المال اليهودي في الصناعة والتجارة ووسائل التسلية ، قدّر لليهود ان يحتلوا مركزا مرموقا في عالم الاعلان والعلنية ، وكان من الطبيعي لهذا المركز ان يؤثر على اساليب المنظمة الصهيونية .

ومع ان هذه الظاهرة كان يمكن ان تشكل سببا للخوف وعدم الاطمئنان بين الاغيار الغربيين المنافسين ، الا انه لم يكن هناك من داع لاثارة الرعب في صفوف العرب . فقد كانت الصحف الصهيونية بأغلبيتها ان لم تكن بمجملها لا صهيونية أو مناهضة للصهيونية حتى ظهور أدولف هتلر ، والمشاكل المتواصلة التي كان هرتزل يواجهها مع صاحب جريدة « نيوفري برس » اليهودية الليبرالية النمساوية خير دليل على ذلك . وان اغلبية المثقفين اليهود في الحركة الاشتراكية

العامة كانوا يكتبون ضد الصهيونية الرجعية . وفي بريطانيه ، تأخر صدور وعد بلفور لعدة اشهر كما أن شروطه دفنت في وجه المعارضة التي قامت ، ولم يقم العرب بها ، بل ممثلو اليهود البريطانيون الاندماجيون (٣) . وفي أميركه ، كانت أقسى عقبة واجهتها الجهود الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية تلك التي حملت لواءها الاقلية الاندماجية والتي نظمت نفسها فيما بعد باسم المجلس الاميركي لليهودية . وحتى في أيامنا هذه ، فان أعنف مقاومة فعالة تواجهها الصهيونية على صعيد حرب الكلام هي التي تشنها العناصر اليهودية من أمثال اريك رولو ، ومكسيم رودنسون وآنيا فرانكوس في فرنسه ، والحاخام المر بيرجر وموشيه منوحين والفرد ليلنتال في أميركه وعدد كبير من المثقفين الماركسيين في كل مكان خاصة ضمن الاممية الرابعة التروتسكية واليسار الجديد (٤) . وبالاضافة لذلك ، فان اليهود أصدقاء تقليديون للعالم الاسلامي كنتيجة للحرية النسبية التي تمتعوا بها بين العرب الذين قدموا المأوى لليهود ضحايا الاضطهاد الاوروبي .

ومع ذلك ، فان الوضع بدأ يتغير بعد انهيار الامبراطورية التركية واحتلال بريطانيه لفلسطين ، فأصبح الوطن القومي اليهودي سياسة بريطانيَّة رسمية وجزءا من النظام الامبربالي للعالم الغربي. ومنذ هذا الوقت ، توقف الحديث ولو لوقت معين في العالم الانجلو — سكسوني حول مسألة الانفصام او الولاء المزدوج ، واصبحت الصهيونية هي الوطنية ، وبتسلم هتلر السلطة ، وفتحه لاوروبه واقامة معسكرات الافناء وافران الغاز ، صعق اليهود واصبحوا في حيرة من أمرهم . وفعلا ، كان الصهيونيون على صواب ، فلم يكن بالامكان محو اللاسامية ، وكان على اليهودي ان ينشد الخلاص في فلسطين أو غيرها . وقد انعكست رياح التغيير في الازدياد الملحوظ في العضوية الصهيونية ، فازداد عدد أعضاء الاتحاد البريطاني

---

(٣) — قارن مع شتين ، ل. ، وعد بلفور ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦١ .

(٤) — وضعت المصادر الاسرائيلية تقديرا تقريبيا لنسبة اليهود في اليسار الجديد وكان ذلك ٣٠ بالمئة .

الصهيوني خمسة أضعاف (٥) . كما ان تكتل النواب البريطـــانيين اليهود أصبح صهيونيا في غالبيته في ١٩٤٣ . وان قيام دولة اسرائيل والانتصارات الخادعة التي حققتها جعلا الصهيونية بالنسبة لعدد من اليهود موضوع افتخار بعد سنوات طويلة من الذل ، ونوع مـــن الضمان ضد تكرار ما حدث اثناء مذابح هتلر . وهكذا فان الهزء الذي كان المثقف اليهودي يقابل به العناصر الصهيونية تحول الى حماسة محمومة وعصبية في أغلب الاحيان يتجاوب صداها بين صفحات جميع الصحف الغربية .

ولهذا فان المواهب ورؤوس الاموال والعلاقات العامة حشدت كلها من اجل خدمة العمل السياسي للمنظمة الصهيونية العالمية التي كان من أهدافها الرئيسية خنق الصوت الفلسطيني وانكار وجوده وتشويه أي صوت يمكن ان ينبعث منه . وان تحقيق هذا الهدف الذي برهن على أنه مجرد نزهة للمنظمة الصهيونية العالمية نتج عنه تقرير مصير فلسطين وحقوق شعبها بصرف النظر عن اماني هذا الشعب ومطاليبه ومعتقداته .

---

(٥) ــ تايلور ، أ. ر. ، تمهيد لاسرائيل ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦١ ، ص ٦٦ .

(٢)

الوضع العــــربي

على القراء ان لا يتوصلوا الى النتيجة التي غالبا ما اكدهـــا مناصرو القضية العربية ، بأنه لم يفسح المجال أمـــام العرب لعرض قضيتهم ، فمن وقت لاخر ، يعطى المتحدثون العرب فرصة كـــافية للظهور على الشـاشـة والتحدث في المذياع ، كما أن الصحف لا تتجاهل رسـائلهم دائمـا. صحيح ان وعد بلفور تد صدر دون استشـارة العرب ولكن القرارات الرئيسية المتعلقة بفلسطين والتي صدرت فيما بعد لم تتخذ الا بعد تدقيق طويل من قبل اللجان الملكية والدولية ومباحثات مباشرة مع بعض ممثلي الفلسطينيين . وكذلك فان العرب لم يعدموا وجود اصدقاء يدافعون عن قضيتهم على صفحات الجرائد . ومع هذا فان الدفاع عن هذه القضية أصبح مضيعة للوقت وهدرا للطاقات كما تقضي بذلك طريقة الحياة الغربية والحالة الذهنية لابناء الغرب .

وان المواطن العصري العادي وقد تشبع بالمناقشات واصبح يشك في الخداع الرياضي للاحصائيات والتحرير الذكي للوثائق ، احاط نفسه بطبقة عازلة من قيم وطرق سلوك الجماعات في وجه اغراء المناقشات . وحتى في الاربعينات ، عندما كان من المفروض ان يكون الناس اكثر عرضة وتأثرا بالدعاية بسبب ويلات الحرب ، كشف الباحثون الاميركيون عن أن وسائل الاعلام العامة لم يكن لها اي تأثير خاص على الجمهور بالرغم من تزايد حجم الاخبار السياسية، وان النتائج التي توصلت اليها جامعة ليدز في المملكة المتحدة بالنسبة للانتخابات العامة في بريطـــانيه في ١٩٥٩ و١٩٦٤ عززت هـــذه الاكتشافات ، فقد اكتشف ان الجمهور يتابع البرامج السياسية على

شاشة التلفزيون ليس لتغيير ارائهم او لتكوين اراء جديدة حول قضايا الساعة ، بل ، وبكل بساطة ، ليثبتوا الاراء التي قد كونوها فعلا   ان الانسان المعاصر في جريه المخادع للوصول الى حرية الاختيار ضد تلقي الاوامر يجد غبطة في الدفاع عن ارائه — أو ما يعتقد انها اراؤه   وفي مثل هذا الوضع يساهم المتحدث الاعلامي العربي العادي بدعم وجهة النظر غير العربية

لقد توصل فريق الباحثين في جامعة ليدز ، بعد صرف النظر عن اعتبار التلفزيون كوسيلة ممكنة لتغيير الاراء السائدة ، الى نتيجة مفادها ان الراي السائد الذي يقبل به الانسان العادي هو في الحقيقة نتيجة مجموعة من العوامل الاجتماعية والشخصية المتأثرة بالتلفزيون والتي تفاعلت خلال فترة طويلة (١)   ان طرق سلوك الجماعات التي تشكل طبقة عازلة ضد تدخل الافكار الجديدة وضد اغراءات وسائل الاعلام العامة ، ليست ، ولسخرية القدر ، اكثر من حصاد بطيء لوسائل الاعلام هذه « ومع هذا فان قرار المواطن في تحديد موقف بين جانبين يمكن ان يتم فقط ضمن اطار مفترضاته العامة ومعلوماته السابقة التي تكونت على مر السنين . . . وبالنسبة لمعظم الناس ، لا يمكن توضيح ذلك بأي بحث لا يبدأ بالمبادىء الاساسية والاولية » (٢)

في أوروبه الغربية واميركه الشمالية تقف جميع هذه المبادىء الاساسية والاولية تقريبا في وجه الفلسطيني الذي عليه ان يواجه سلسلة من الافكار المسبقة والصور المرتبطة تقليديا بالمسلمين والعرب والملونين والمشرقيين ، يزيدها الصهيونيون وانصارهم قوة وتشعبا (٣)   ان هنالك عملية بطيئة لكن اكيدة تحدث في امور مثل نكتة بريئة ، مشهد مسرحي هزلي ، « كرتون » ، كاريكاتور ، اعلان تجاري ، شريط سينمائي ، أغنية شعبية ، برنامج ديني ، خبر بريء

---

(١) — ترينامان ، الدكتور ج. وماك كويل ، د. ، التلفزيون والصورة السياسية ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦١ ، ص ٢٣٣

(٢) — سكوفام ، ج. ، الاذاعة والمجتمع ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦٧ ، ص ١٣٦.

(٣) — لمعرفة الصورة الصهيونية عن العرب ، انظر ص ٤٤ من هذا الكتاب

ظاهريا ، وثيقة ، وما الى ذلك . وفي نيسان (ابريل) ١٩٦٩ اثارت الجالية العربية القليلة العدد في لندن لغطا كثيرا حولها بسبب اعلان تجاري نشرته « هوني » وغيرها من المجلات النسائية لالبسة « تريومف » الداخلية . وقد قدمت العارضة نفسها التي عرضت الالبسة هذه للبيع كرقيق من قبل مجموعة من العرب المعتمرين كوفيات وعقل ، وقد كتب في الاعلان : « ملابس داخلية للبيع في . . . ولتكن مشيئة الله معك دائما في ملابسك الداخلية » .

لا يتمكن المرء من مقارعة الاخرين بسبب اعلان دون أن يبدو سخيفا ، ولكن بامكان ذلك ان يعطينا مثالا على عامل من شأنه ان يبرز الصورة العامة لاي شخص او اي شعب . لا يوجد اي موضوع يمكن للمعلن ان يستغله علىحساب اليهودي واذا ما فعل ذلك فانه سيواجه بتهمة اللاسامية . في أحد برامج هيئة الاذاعة البريطانية تحدث معلق عن معظم ملكات الجمال لكنه عبر عن اعجابهبملكةجمال اسرائيل ليس لانها كانت جميلة فحسب بل لانها كانت ذكية ايضا . قال المعلق انها اجابت عن سؤال حول ما تتمناه في حياتها بقولها انها تريد العودة الى اسرائيل لتقتل العرب . كذلك فقد نشرت الاوبزرفر سلسلة من اعلانات الملكية لروي بروكس ، ووكلاء العقارات « ايستيتس اجنتس » تحتوي على مقارنة مثيرة من الاعلان والهجوم الحاقد على العرب ، واثنان من هذين الاعلانين اللذين يعددان البضائع التي ستباع بشكل غير مناسب ظهرا بالشكل التالي :

(١) « عندما تطرد قاتلا من بيتك بعد ان كان يقتل افراد عائلتك لعدة سنين خلت ويهدد بافناء الباقين ــ اقتلوا النساء والاطفال أولا ، هكذا كان يقول عبد الناصر قبل اسبوعين ــ فانك ولا شك تكون غبيا لو سمحت له بالعودة مرة ثانية ، خاصة عندما منح اوثانت ، رئيس الشرطة ، قواته اجازة الى اجل غير مسمى في الوقت الذي انت بأمس الحاجة اليهم . عندما تنظر من قمة المرتفعات الى تحت ، كما فعلت انا البارحة ، وتقارن القطاع الاردني القديم الاجرد والمهمل بالقطاع الاسرائيلي المزروع والجميل ، فلن يكون هناك أدنى شك في ذهنك حول من يملك هذه المدينة . لقد زرت في بيت

لحم المغارة التيولدفيهاالمسيح واشتريت فلافل ودربكة من بعض العرب الذين يظهر عليهم اليسر . انني اقبل برعاية اسرائيل للاماكن المقدسة ولكنني لست سياسيا ، بل متفرج غير متحيز . لقد تجولت في قصر الحسين الكائن في القدس : انــه منزل عصري فــي الضواحي ولكنه سخيف مؤثث بشكل عديم الذوق ، ومفروش بسجاد غير مهندم ، هناك مزينة بلاستيك لمّاعة ، ورشيش عوزي يتدلى من تعليقة معطف بلاستيك قرنفلية اللون في غرفة نوم منى ، انه أسوأ من اي شيء آخر رأيته في هامبستيد » .

(٢) « لو القينا نظرة الى غزة ، نرى ان العرب راضين بالاعمال الكثيرة التي لديهم (غرفتهم التجارية اظهرت تعاونا مخلصا اثنــاء الحرب !) ، انهم يجلسون بكل ارتياح في القنطرة على ضفة قناة السويس ، على ارائك مغطاة بالدمقس وموشاة بالذهب ــ ويظهر ان الاربعاء هو يوم اجازة بالنسبة للقناصة . ومن بعيد رفع جندي اسرائيلي قبعته الروسيه ــ من ت ٥٥ ــ وقال : « نرحب بكم الى الاسماعيلية اليهودية » . لقد مد الاسرائيليون انابيب مياه في صحراء سيناء . وهم بكل اخلاص يريدون ان يعملوا مع العرب من اجل تقدم وازدهار المنطقة . واذا لم تطفىء اميركه وروسيه « كيهم وناصريهم » ــ اشارة الى كاوكي وعبد الناصر ــ بدلا من الهابهم ، فان كثيرين سيبيدون في شمس عالم ذهبي حيث لا تزال اشياء كثيرة يمكن ان يحيا في سبيلها الانسان » .

ملحوظة : بالاضافة الى ملاحظاتي حول بيت الحسين والتي اثارت « القرف الشديد » لدى احد القــراء ، فانني احتفــظ « بقرفي الشديد » بالنسبة لأولئك الذين يتآمرون لابادة جيرانهم » (٤) .

يظهر بأن « الأوبزرفر» و« والمتفرج المحايد » يفضلان النظر خلسة الى غرف نوم النساء . ان قوة مثل هذه التفاهات الصغيرة

(٤) ــ « الاوبزرفر » ، ٢٥ حزيران (يونيو) و٩ تموز (يوليو) ١٩٦٧ ــ ان روي بروكس هو احد المعلنين المنتظمين في الاوبزرفر .

بالمقارنة مع ضعف المناقشات السياسية الجدية تستطيع الاستيلاء على تفكير المواطن دون وعي منه ـ أي عندما يكون قد نزع القيود عن نفسه واسترخى بكل لامبالاة ودون رقيب . ان هذا هو وقت تأثير المدرس والفنان والهزلي والمعلق والمسافر والكاتب ذي الاهتمام بالمصلحة العامة ، وبالنسبة للعالم الغربي ليس بين هؤلاء اي عربي. ان وزن الصهيونية في هذه الحقول يهتم بخلق الصور الصحيحة والافكار المسبقة وطرق سلوك الجماعات تجاه الشرق الاوسط . انها تشمل تلك الافكار التي تصف العرب بأنهم شعب مخرب ، كسول ، متخلف ، ضد التقدم ، يبدد ثروات المنطقة ، غير مؤهل للحكم الديموقراطي ، الخ . وبدون أي تحيز نقول بأن الصهيوني في هذه الحالة يتلاعب بالافكار التي تكونت لدى العقول الاستعمارية، وتتناقض هذه الحقيقة مع التأثير السهل للمتحدث العربي بشكل عام بين الافرو ـ آسيويين والملونين والمناهضين للامبريالية بالرغم من فشله بين الجمهور الغربي العادي .

وعند سؤالنا معظم الافراد العاديين من هذا الجمهور حول جذور عطفهم على اسرائيل لا نستطيع ان نعثر على سبب محدد للتحول او لاتخاذ مثل هذا القرار . يذهب السيد ريتشارد كروسمان بعيدا الى حد ما ليجعل قراره النهائي في الانحياز الى جانب الدولة اليهودية نتيجة عناء وعمل واع ووزن نقاط الـ « مع » مقابل نقاط الـ «ضد» خلال عمله مع اللجنة الانجلو ـ اميركية للاستقصاء (٥) . يتساءل المرء عن الجهد المبذول لرواية هذه القصة وذلك لان موقفه في سجلات حزب العمال تشير الى مناصر للصهيونية قبل ارتباطه باللجنة بفترة طويلة . ورغما عن تجاربه السياسية والفكرية ، او ربما بسببها ، يظهر بأنه ليس افضل او اسوأ من الرجل العادي الذي يعتقد بأنه يتخذ قرارا موضوعيا خاصا به حول الموضوع المطروح أمامه .

وبناء على ما تقدم ، نستطيع ان نفهم اليأس الذي تحس به

---

(٥) ـ كروسمان ، ر. ، بعثة فلسطين ، لندن ، ١٩٥٠ ، بالانجليزية .

الانتلجنسيا العربية من أمل الوصول الى تفكير الغرب . « ان كلا من لندن وواشنطن لا تفهم الا بلغة البنادق ، وان الاموال التي تنفق على العلاقات العامة هي كالمال الذي يقذف به الى بالوعة الماء . لذلك يجب اغلاق مكاتب الاعلام التابعة لجامعة الدول العربية » . ومع هذا فان الدول والمنظمات العربية لم تقفل حوانيتها هذه لسبب هام ، ففي الانظمة الديمقراطية الليبرالية يوجد دائما اقلية عائمة ، غير ملتزمة ومتمردة . واذا ما رجعنا للبحث الهام الذي قام به الدكتور جاي بلومر ودنيس ماك كويل من جامعة ليدز (٦) ، يظهر انا تأثير وسائل الاعلام العامة على هذه الجماعة الهامشية من الشعب في تطلعها الى القضايا الهامة ، كما ان لها تأثيرا على المغبونين واولئك الذين يعيشون بعيدا عن الاضواء . والساحة التي تتبادر الى الذهن في الوقت الحاضر ليست سوى الحركة الطلابية الواسعة الانتشار وعشرات المنظمات النشيطة التي انضوت ضمن حظيرة اليسار الجديد مع انه لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان نصفها بأنها غير ملتزمة .

وليست هذه الفرصة الوحيدة الضيقة المفسوحة أمام القضية العربية كما يقال في كل مكان ، ولكن لم يكن تحت تصرف العرب الوسائل التي يمكن اعتبارها كافية لهذا العمل بالذات ، وقد وضعوا في وضع معاكس تماما لوضع الصهيونيين . لقد كان العرب هم المالكون الحقيقيون وجل ما كانوا يطلبونه هو المحافظة على الوضع الراهن ، وان موقف الدفاع غالبا ما يكون قريبا جدا من الهزيمة . لذلك لم يقدموا اي مطلب طموح بالنسبة لامكاناتهم وقدراتهم التي ، على أي حال ، لم يكن لديهم منها سوى النزر اليسير ، فهم لايتكلمون اية لغة أوروبية كما لم يكن لهم شتات في الغرب . ومهما كان العربي فخورا بعروبته ولغته العربية ، فانه بشكل طبيعي غير متعصب قوميا ومناهض للعنصرية . فهو يتصاهر بسهولة ويندمج مع المجتمعات الجديدة بسرعة . ان عددا قليلا فقط من المغتربين العرب

---

(٦) — بلومر ، ج. وماك كويل ، و. ، التلفزيون والسياسة ، لندن ، ١٩٦٩ ، بالانجليزية .

في اوروبه واميركه، ممن كان بامكانهم ان يتحدثوا عن القضية العربية ويعملوا من أجلها ، لم يظهروا اي اهتمام بها على الاطلاق .

لذلك لم يكن امام العرب أي خيار سوى الاعتماد على المترجمين وعلى خدمات المعلنين الاجانب الذين يعيشون الاف الاميال بعيدين عن مراكز تقرير السياسة ويستخدمون وسائلهم الخاصة بهم . وبالاضافة لذلك لم يكن لدى الفلسطينيين مصادر مالية كما عند الصهيونيين ليوفروها ويخصصوها لجهاز الاعلام الباهظ التكاليف ، كذلك لم يكن عندهم مثل مكاتب ضريبة الدخل الاميركية والبريطانية لتوفير النفقات للمصاريف السياسية . وبالنسبة للمنظمة الصهيونية فقد ظلت الاولوية للاعلام ، ولم تستطع المنظمة خلال سنوات من القيام بأي شيء اخر على هذا الصعيد ، بينما كان العرب يواجهون مشاكل اكثر الحاحا مثل الصحة والتعليم والفقر والاضطهاد الخارجي .

لقد كان النقص اللغوي اقل خطرا بكثير من القضايا الفكرية . ان العرب ليسوا انجليزا ، ووسيلة التخاطب عندهم ، باسلوبها المسرحي والتعليمي والخطابي المليء بالتكرار اللفظي ، لا تصلح لابن لندن الذي يفرغ من قراءة جريدته الصباحية وهو « في طريقه بالباص من كنسينجتون الى وست اند » .

وهناك ثغرة ثقافية خطيرة بالنسبة للعرب هي اختلاف تراثهم السياسي الذيلم يكن له اسبقيات في الحياة البرلمانية الغربية . ليس عندهم معلومات عن الطريقة التي تعمل بها الحكومات الغربية او عن دور الراي العام في الحل والربط . والتصادم بين بيجن وشنويل وبين ترومان وفورستال كان بالنسبة للعرب مثل لعبة « الشرطي والحرامية » او هو خدعة قديمة في اسوأ الاحوال . وليس لابن الصحراء اية تجربة بالنسبة للضباب الكثيف او الخفيف أو بالنسبة للربيع والصيف ، فالحياة الساكنة لا تتمكن من تقديم تجارب عن العالم الصناعي الديناميكي المشرف على الانفجار ، كذلك فانه لم يكن

بامكان العرب ان يدركوا القوى التي يمكن ان تختبىء وراء كل متحدث في نقاش برلماني ، او ان يستغلوا التناقضات التي تتكشف لهم . وعدم القدرة على الاعتراف بأن الاعلام سلاح رئيسي في هذا الصراع كان غلطة محتومة دفع الفلسطينيون ثمنها غاليا .

وبمرور الايام ، ظهر بأن المعركة كانت قضية نزاع غير متكافىء .

(٣)

القضية العربية ضحية للاهمال

ان تأثير الصحافة الغربية موضع افتخار بالنسبة للقوميين اليهود ، فمثلا ، يبدي مناحيم بيجن بعض الملاحظات الهامة في هذا الصدد يقول :

« من المسلَّم به ان كفاح اية جماعة اخرى لم تكن له الشهرة والدعاية في جميع انحاء العالم التي اكتسبها كفاحنا . فبينما كانت ثورتنا تأخذ مجراها ، كانت هنالك عدة معارك كبرى في جبال اليونان ، ولكن التحقيقات عن عملياتنا كانت تغطي بعناوينها الصارخة الصفحات الاولى من صحف العالم وخاصة في الولايات المتحدة » .

يستطرد بيجن فيصف هذا التأثير على الصحافة كلوح من زجاج يعمل خلفه القوميون اليهود ، ثم يقول بأن الاسلحة كانت وسيلتهم للهجوم وكان لوح الزجاج الذي ترى منه الصحافة ، درعهم الذي يتقون به (١) . وفي الوقت الذي سيطر فيه البريطانيون على فلسطين ، شعر الجنرال اللنبي بقوة الضغط الدعاوي الصهيوني فطلب « تقييد غزارة مؤيديهم في الصحف » (٢) .

ان ما اشتكى منه الجنرال اللنبي لا يساوي ، في الحقيقة ، شيئا اذا ما قورن بما شاهده العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

---

(١) ـــ بيجن ، مناحيم ، الثورة ، بالانجليزية ، لندن ، ص ٥٦ .

(٢) ـــ اللنبي الى كيرزون ، وثيقة حول السياسة البريطانية الخارجية من ١٩١٩ ـــ ١٩٣٩ ، السلسلة الاولى ، المجلد الرابع ، ص ٣٢٥ ـــ بالانجليزية .

فمنذ ذلك الوقت ، اصبح تقليدا متبعا بالنسبة للمنظمة الصهيونية ان تشن حربا اعلامية كلما واجهت اية أزمة . فخلال ثورة ١٩٢٨/١٩٢٩ في فلسطين ، تم اصدار ٦٥ صحيفة جديدة في ١٩ بلدا (٣) ، واثناء ثورة ١٩٣٦ ارتفع عدد هذه الصحف الصهيونية ٢٤٦ صحيفة . وخلال الحرب العالمية ــ في ١٩٤٤ ــ ذكر بأن ١٠ بالمئة من الـ ٣٣٠٠ عامود التي تعيد نشر الانباء الصحفية للمنظمة الصهيونية كانت تنشر في الصحف الاميركية . وعندما دنا يوم الحساب في فلسطين ، ارتفعت النسبة الى ٢٥ بالمئة في السنة التالية ، بما مجموعه ٤٠٠٠ عامود (٤) ، كما ان الاعلانات التي تغطي صفحات كاملة كانت تنشر باستمرار في اكبر الصحف الاميركية اليومية . وقد انشىء المجلس الاميركي الصهيوني للطوارىء بفروعه الـ ٣٨٠ واوكلت له مهمة قولبة الرأي العام في الولايات الاميركية المختلفة ، كما ان اللجنة الفلسطينية ــ الاميركية شكلت في ١٩٤١ للعمل بين الاغيار ، والمجلس المسيحي لشؤون فلسطين ، من اجل التسلل الى الكنيسة .

ومن جهة الصحف الانجلو ــ يهودية ، فان وكالة البرق اليهودية كانت تزود ٨٠ بالمئة منها بنشرات الاخبار اليومية والمقالات الاسبوعية . ومما يذكر ان وكالة البرق اليهودية تمولها المنظمة الصهيونية العالمية وتتلقى مساعدة سنوية من الوكالة اليهودية ، بعد ان كانت قد اشترتها من صاحبها المريض بدون اصدار بيان عام حول ذلك . انه لمن الصعب التأكيد بالضبط كم ينفق من أجل الوصول والتمسك بهذا الوضع الاستراتيجي ازاء الراي العام العالمي . ان اعادة تنظيم النداء اليهودي الموحد (اكبر منظمة

---

(٣) ــ تقرير حول المؤتمر الصهيوني التنفيذي السادس عشر ، ص ٤٢ ــ بالانجليزية .

(٤) ــ ستيلنز ، ر. ب. ، الصهيونية الاميركية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة من ١٩٤٢ ــ ١٩٤٧ ، نيويورك ، ١٩٦٢ ، ص ٢١ ــ بالانجليزية .
ان دور الدعاية الصهيونية في التأثير على سياسة الولايات المتحدة يظهر في كتاب س. هالبرين ، العالم السياسي للصهيونية الاميركية ، ديترويت ، ١٩٦١ ، ص ٢٥٣ ــ ٢٨٠ ــ بالانجليزية .

لجمع التبرعات في الولايات المتحدة ، تمد اسرائيل بأكبر مبلغ من التبرعات الخارجية) في ١٩٦٠ ، اظهرت انه خلال السنوات العشر السابقة ، أعادت الوكالة اليهودية مبلغ ١٥ مليون دولار من هذه الاموال في سبيل الدعاية والنشاطات الثقافية في الولايات المختلفة (٥) .

ووفقا للتحقيقات التي أجرتها لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، فقد كانت عملية نشر المعلومات الموالية لوجهة النظر الاسرائيلية في ١٩٦٣ تنفذ خلال « شبكة من الدوائر المتطابقة والمتشابكة » والمرتكزة على ستة منظمات رئيسية هي : مؤسسة هرتزل ، لجنة شؤون الشرق الاوسط ، الاتحاد الاميركي للدراسات الشرق اوسطية ، اللجنة الاميركية المسيحية لفلسطين ، اللجنة الجامعية لاسرائيل ، ومؤسسة الثقافة العبرية . ان تقرير مجلس الشيوخ الشهير يقتبس بعض الكتابات الدعاوية التي كانت تشتمل على استغلال المحررين ، وكتابة المقالات ، ووضع ترتيبات للاذاعة والتلفزيون والسينما ، وتشجيع الشبكات والمحطات في اعداد برامج عن اسرائيل ، واستغلال الشخصيات الدينية والاكاديمية ، ومراقبة والغاء وتحضير بعض المواد للمدارس ، ومساعدة الناشرين ، وتوزيع الكتب ، واستخدام الخطباء ، واقامة علاقات مع المنظمات خاصة بين الجالية الزنجية وتمويل الرحلات الى اسرائيل من قبل سادة الرأي العام ، الخ (٦) .

ليس لاية حكومة او منظمة سياسية عمل دعاوي في الولايات المتحدة يعادل حجم العمل الذي تقوم به المنظمة الصهيونية العالمية والمنظمات العاملة معها . وتأثير جهازها الدعاوي على السياسات الشرق أوسطية للدول الغربية مدار بحث عدد قليل من الكتب ، لكن

(٥) ــ روزنوالد ، ل. جـ. ، اعادة تنظيم صناديق النداء اليهودي الموحد ــ بالانجليزية ــ من اصدار المجلس الاميركي لليهودية ، نيويورك .

(٦) ــ استجواب أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، ١٩٦٣ ــ بالانجليزية . ان ملخصا هاما للتقرير يوجد في كتاب موشيه منوحين ، « انحلال اليهودية في عصرنا » ، نيويورك ، ١٩٦٤ .

جميع الكتّاب لا ينسون انيذكروا ذراعي اسرائيل (الدعاية وجمع التبرعات) في أي كتاب يتعلق باسرائيل وبالصهيونية .

وبازدياد عدد اليهود الذين استسلموا لاغراءات الصهيونية وحلها للمسألة اليهودية ، كسبت المنظمة الصهيونية العالمية شخصيات مرموقة في الدوائر العليا للسياسات الدولية (٧) . ان تضمين البرنامج الصهيوني للانتخابات البرلمانية وشراء الاصوات اليهودية يعود الى انتخابات ١٩٠٠ في بريطانيه عندما طرح الاتحاد الصهيوني الانجليزي برنامجه للانتخابات بعد أن تبناه ستون مرشحا ، وقد وصف هرتزل ذلك « بأنه اذكى خطوة اتخذت في حركتنا منذ زمن طويل » (٨) . وكانت لجنة فلسطين البرلمانية ذات التأثير الكبير هي التي تحافظ على استمرار الضغط على البرلمان البريطاني وعلى أعضاء الحكومة البريطانية ، وفي ١٩٤٤ جعلت المنظمة الصهيونية في اميركه موضوع اقامة الدولة اليهودية القضية الاساسية التي يجب على اليهودي ان يصوت على أساسها . والحملة هذه فتحت أبواب البيت الابيض امام الحاخام ستيفن وايز والحاخام أبا هلّيل سيلفر . وهكذا بدات السياسة الاميركية الموالية للصهيونية (٩) .

ان الضغط الموالي لاسرائيل في اميركه يعتبر من اقوى الضغوط في العالم ، وقد وضع الفرد ليلنتال ، المفكر اليهودي المناهض للصهيونية ، دراسة قيمة عن مناورات واحابيل اليهود الصهيونيين وزملائهم من الزائرين في تشكيل السياسة الاميركية الشرق اوسطية عن طريق التسلل الى البيت الابيض ووزارة الدفاع الاميركية (البنتاجون) ومجلسي النوابِ والشيوخ . لقد تمت السيطرة على الراي العام واعيد تكوينه بشكل منتظم من خلال السيطرة على

---

(٧) ــ ان الصهيونيين يعتبرون هذه الاراء نتيجة لـ « البروتوكولات » القيصرية المزيفة ، والسخرية هي ان الصهيونيين انفسهم يصرون على وجود أمة يهودية وتصويت يهودي جماعي ، ويقنعون المرشحين الطامحين بالفوز ، بأنهم لن يمنحوهم هذا الصوت الا باعطاء بعض الامتيازات لاسرائيل .

(٨) ــ هرتزل ــ بالانجليزية ــ المجلد ٣ ، ص ٩٨١ ــ ٩٨٢ .

(٩) ــ ليتفينوف ، ب. ، شعب عجيب ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٤٤ .

الصحف ودور الاذاعة وشبكات التلفزيون ، وبالتسلل الى الجامعات ومراكز الابحاث ، وما الى ذلك (١٠) . ودليل واضح على التسلل الصهيوني يمكن ان يلاحظ في التفكير المتشابه للحزبين السياسيين في امريكة وللوكالة اليهودية في ١٩٤٤ ، كما يبدو ذلك من بنود مقرراتهما (التي اعتبرت تحولا جديدا) التالية :

١) « ... اعتبار فلسطين كومنولث يهودي » . (مذكرة الوكالة اليهودية في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ كما قدمت للحكومة البريطانية) .

٢) « .. اقامة كومنولث ديمقراطي حر هنالك » . (قرار صادر عن مؤتمر الحزب الديمقراطي في تموز (يوليو) ١٩٤٤) .

٣) « يمكن ان تصبح فلسطين كومنولث ديمقراطي حر » . (برنامج الحزب الجمهوري ، ١٩٤٤) (١١) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه القرارات المتطابقة لم تتخذ من قبل الحزبين السياسيين في امريكه بل من قبل حزب العمال البريطاني وتكتل النواب البريطانيين اليهود (الذي كان قد وقع في قبضة الصهيونية قبل ذلك بسنة) .

وقد أرسل السيد موشيه منوحين لعنة عاطفية الى سادة الراي العام الامريكي من الصهيونيين وذلك من خلال مؤلفه « انحلال اليهودية في عصرنا » ، ومن الغريب ان لا يصدر مثل هذا المؤلف في بريطانيه ، وقصة الاحابيل الصهيونية من وراء الكواليس في المملكة المتحدة لا تزال مجزاة وعبارة عن تأملات فقط .

ان التأثير الذي كان للقاضي براندیز على الرئيس ترومان في امیرکه يعتبر من العوامل المعترف بها وراء اصدار وعد بلفور . وفي الحقيقة ان أحد العوامل في تفكير بلفور كان ناجما عن تأثير الاميركيين

---

(١٠) ــ ليلنتال ، الفرد ، ثمن اسرائيل ــ بالانجليزية ــ شيكاجو ، ١٩٥٣ ، والوجه الاخر للعملة ، نيويورك ، ١٩٦٥ ــ بالانجليزية ، انظر ايضا كتاب كيرك ، جـ ، الشرق الاوسط خلال الحرب ــ بالانجليزية .

(١١) ــ وثائق تتعلق بالقضية الفلسطينية ، الوكالة اليهودية ، ١٩٤٥ ــ بالانجليزية .

الصهيونيين على حكومتهم (١٢) . لقد كان الرئيس ترومان ، خلال السنوات الحاسمة من ١٩٤٧ ــ ١٩٤٩ ، مسيَّرا في سياسته الشرق أوسطية من قبل مساعده التنفيذي دافيد ك. نيلز . يقول وزير الدفاع الاميركي في مذكرته الخاصة في٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ بأن وزارة الخارجية كانت « جد محرجة ومرتبكة بسبب تصرفات نيلز في البيت الابيض حيث كان يذهب مباشرة الى الرئيس لبحث القضايا المتعلقة بفلسطين »(١٣). ويروي ليلنتال بأن الجنرال رايلي اكتشف بأن التقارير العسكرية السرية للبنتاجون كانت معروفة لدى الممثلين الاسرائيليين ولم تكن كذلك بالنسبة له » (١٤) . وقبل ذلك ، أي خلال الحرب ، أكدت الوكالة اليهودية لبيجن بأن معظم الابواب التي كانت موصدة في وجه زعماء الحكومات الحليفة المنفيين ، وفي طليعتهم الجنرال ديجول ، كانت مشرعة أمام المنظمة الصهيونية العالمية (١٥). وفي الثامن عشر من اذار (مارس) ١٩٤٨ حدث اللقاء التاريخي بين وايزمن وترومان ، وعلى اثر ذلك كسبت الدولة اليهودية الرئيس الاميركي الى جانب قضيتها . لقد رتب الاجتماع ، ضد رغبة الرئيس ، السيد ادي جاكوبسن ، شريك ترومان السابق في كانساس وهنا قام وزير الدفاع ، جيمس فورستال ، بشن هجوم مضاد من اجل ابعاد السياسة الاميركية عن الاتجاه الصهيوني . وقد حاول ان يقنع زعماء الحزبين « برفع القضية الفلسطينية من الحياة الحزبية الاميركية » وذلك من أجل الحفاظ على المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ، لكن المنظمة الصهيونية في اميركه حددت موضع الخطر مما جعل جميع محاولات فورستال تقاوم بجميع انواع الضغوط التي كانت في متناول اليد (طبعا ، اللاسامية على رأس القائمة) ، وهذا دفع وزير الدفاع الى اليأس ثم الانتحار المؤكد (١٦) .

---

(١٢) ــ انظر شتين .

(١٣) ــ مذكرات فورستال ، تحرير : و. ميلز ، لندن ، ١٩٥٢ ، ص ٣٤٤ ــ بالانجليزية .

(١٤) ــ ثمن اسرائيل ، ص ٩٥ .

(١٥) ــ بيجن ، ص ١٤١ .

(١٦) ــ ان قصة نضاله الدامي واردة في مذكراته ، المشار اليها انفا .

والتوجيه الظاهر المناصر لاسرائيل في ادارة جونسون كان يدل كذلك على الوجود الصهيوني المركز بين أقرب مساعديه ، وان فضيحة ابي فورتاس ، القاضي المساعد في المحكمة العليا ذات التأثير السياسي الواسع ، تبين الاعمال الخبيثة التي تجري خلف الحياة السياسية في اميركه . لقد كان أبي فورتاس بمثابة المستشار للرئيس جونسون الذي رشحه ، بدوره ، لرئاسة المحكمة العليا . ربما كان فورتاس يبغي ارتداء ثوب القاضي برانديز ، ولكن اكتشاف الشيك السنوي بقيمة ٢٠ ألف دولار مدى الحياة من مؤسسة عائلة وولفسون كان مما لا يناسب رئيس المحكمة العليا ، وكانت الفضيحة كافية لدفع فورتاس للاستقالة (١٧) .

كذلك فان وزارة الخارجية التي كانت تعتبر اخر حصن ، وقعت في قبضة الضغط الصهيوني في السنوات الاخيرة . لقد وصف الدكتور ب. رايبنفيلد ، الرئيس المشترك للجنة الشؤون العامة المنبثقة عن المنظمة الصهيونية في اميركه ، هذا التغيير كما أشار الى اهمية المواطنين الاميركيين الصهيونيين في ادارة شؤون واشنطن بالنيابة عن اسرائيل (١٨) : « بامكاننا القيام بالاتصالات المناسبة لتأكيد ذلك . وفعلا ، فان للجنة العلاقات العامة المنبثقة عن المنظمة الصهيونية في اميركه اتصالات ذات قيمة مع وزارة الخارجية التي تشترك معنا في التحضير لاجتماعات في جميع انحاء البلاد . انني اعتقد بأن أيام توجيه لوي هندرسون المناهض لاسرائيل والذي ترعاه بريطانيه قد تغيرت ، واننا نحن ، كمواطنين اميركيين ساهمنا في تغييره » .

ان ولاء هؤلاء المواطنين الاميركيين هو الان موضوع صفقة جاهزة لكسب التأييد الاميركي للموقف الاسرائيلي في الاراضي المحتلة مقابل تأييد هؤلاء المواطنين الاميركيين اليهود للوجود الاميركي في فيتنام .

---

(١٧) — « انترناشيونال هيرالد تريبيون » ، ١٦ — ٥ — ١٩٦٩ .
(١٨) — « جروسالم بوست » ، ١٧ — ٦ — ١٩٦٨ .

وكما ان التأثير الصهيوني على السياسة الاميركية الشرق أوسطية مقبول من المؤرخين ، فان التأثير الاميركي على سياسة الدول الغربية الاخرى مقبول بالسهولة نفسها . فمثلا ، كانت بريطانيه تمر في أزمة خطيرة في الاشهر الحاسمة التي تلت الحرب مما جعلها في حاجة ماسة للمساعدات الاميركية وفقا لمشروع اعادة اعمار اوروبه . ولقد استفاد العمل الصهيوني من هذه الحقيقة استفادة تامة بأن طالب باعادة النظر في المساعدة الاميركية الى بريطانيه في ضوء مساعدة هذه الاخيرة للجيش العربي في شرقي الاردن ، كما ان الطريقة التي كان ممثلو دول اميركه اللاتينية يدلون فيها بأصواتهم في الامم المتحدة تذكرنا دائما بسيطرة الولايات المتحدة على اميركه الجنوبية وعلى العالم الغربي في فترة ما بعد الحرب . وبفضل هذا الوضع الذي تحسد عليه الولايات المتحدة ، تمكنت اسرائيل من قطف ثمار معظم انتصاراتها .

اما في المملكة المتحدة فان تأثير مدرسة مانشستر الصهيونية خلال الحرب العظمى يعتبر علامة فارقة في تاريخ وعد بلفور ، فلقد كان يشار دائما ، كما في اميركه ، وبسبب الوجود الصهيوني المكثف، الى انه لا يوجد اي عربي بين اعضاء البرلمان ، كما لا يوجد اي عربي في أية دائرة انتخابية . ونتيجة لذلك لم يكن هناك ضغط يبذل على المصممين للسياسات ازاء الشرق الاوسط أو المشرفين عليها . وبسبب ضعف الاعلام العربي والعلاقات العامة ، لم يكن أمام قضية فلسطين سوى أن تهبط الى الاسفل بالنسبة للبرلمان . ومع هذا فقد كانت هناك مجموعتان من المؤيدين الذين ينتمون الى فئتين من الناس ، فهناك فئة السياسيين الذين يفكرون بمصالح بلادهم البعيدة المدى في العالم العربي بشكل عام ، كما كان هناك اقلية من المثاليين الذين سنحت لهم الفرصة برؤية الجانب الاخر لقضية فلسطين . وفي العشرينات كان الضغط المؤيد للعرب قويا لدرجة انه حاز على الاغلبية المناهضة لوعد بلفور عند التصويت عليه في مجلس اللوردات .

وبتقاطر المهاجرين الى العواصم الغربية من اوروبه الوسطى

وبتعمق نفوذ المنظمة الصهيونية أكثر فأكثر ، ازداد عدد السياسيين والدعاة المنضوين تحت لواء الصهيونية . وعندمـــا نوقش مصير فلسطين مرة ثانية في شباط (فبراير) ١٩٣٦ بهدف منح سكانها مجلسا تشريعيا ، لم يقف بجانب العرب سوى اللورد بلايموث ، ممثل الحكومة . وبذلك ضاعت اخر فرصة كان يمكن لشعب فلسطين ان يعطـــي رايه فـــي مصير بلده مما جعـــل قضيتهم تضيع ضحيـــة الاهمال (١٩) ، كما قيل انذاك ، ومنذ ذلك الوقت ، لم يتحدث باسم الفلسطينيين سوى قلة من أعضاء البرلمان .

ان اتصال الدكتور حاييم وايزمن وزملائه السهل بالهوايت هول معروف للجميع. ولم يكن بامكان العرب ان يحلموا بامكان حدوث مثل تلك الاجتماعات غير الرسمية التي كان يعقدها مع رؤساء الوزارات ووكلائها في بيوتهم وخلال حفلات شرب الشاي وحفلات العشاء الخاصة واثناء الخلوات . يروي الكولونيل ر. ماينرتزهاجن هـــذا الحوار المدهش الذي جرى في بيت السيد بلفـــور في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٢١ بين وايزمن ولويد جورج وارثر بلفـــور وونستون تشرشل :

أخذ الدكتور وايزمن يتحدث عن وضع الصهيونية ، وعـــن توقيف الهجرة ، وعدم منح الامتيازات الضرورية للتنمية ، وعـــدم وجود الامن الضروري للسكان اليهود ، ومما قاله في هذه المناسبة : « نحن بحاجة الى الاسلحة ، ولا استطيع السماح باستمرار ذلك » .

تشرشل : (مقاطعا) : « ليس لدينا اعتراض على ذلك ، ولكن لا تتحدث في الموضوع » .

وايزمن : « اريد ان تصوتوا على الموافقة . اموافقون ؟ » .

وقد وافق الجميع على ذلك .

ثم عرض تشرشل وجهة نظر الادارة بأن وضعا صعبا قد نشأ بسبب وعد بلفور الذي عارضه العرب وتسعة أعشار الموظفـــين

(١٩) ــ قارن ، تقرير لجنة بيل ، ١٩٣٧ ــ بالانجليزية ، رقم ٥٤٧٩ .

البريطانيين في الساحة وبعض يهود فلسطين . قال : انها بلاد فقيرة لا يمكن ان تستوعب مهاجرين معدمين .

لكن الدكتور وايزمن دحض ذلك وتحدث عن « مشروع الحكومة التمثيلية » .

وتحدث تشرشل عن العراق وشرقي الاردن ، واجابه وايزمن : لا تستطيع ان تقنعني بأنك منحت هذين البلدين الحكم الذاتي فقط لانك تعتقد ان ذلك هو الصواب ، ان ذلك قد تم لانه كان يجب ان يتم » ، وقد وافق على ذلك كل من لويد جورج وبلفور وتشرشل نفسه .

وايزمن : « اذا فعلت الشيء عينه في فلسطين ، فان ذلك سوف يعني التخلي عنها ، وهذا هو ما أريد أن أعرفه » .

لويد جورج لتشرشل : « عليك ان لا تقيم حكومة تمثيلية في فلسطين » .

تشرشل : « قد اضطر لأن أطرح الموضوع أمام الوزارة » . وطبعا فان القضايا المتعلقة بالوطن القومي ستحذف من مجال اختصاص الحكومة التمثيلية .

لكن الدكتور وايزمن قال ان ذلك مستحيل ، وبعد دحض بعض المناقشات التي طرحت أصبح الحديث عاما لبعض الوقت .

ثم تحدث تشرشل عن الوفد العربي واعرب عن تأكيده بأن تسوية مؤقتة يمكن التوصل لها معهم لمدة السنوات الثلاث القادمة .

لكن وايزمن اعرب عن شكه في امكان تحقيق ذلك ، وقال ان العرب يحبون الابتزاز السياسي ، وقال ان باستطاعته التحدث معهم عندما يعرف موقف الحكومة البريطانية بالضبط .

لويد جورج : « بصراحة ، انك تريد ان تعرف ما اذا كنّا سنفي بتعهداتنا » .

وايزمن : « نعم » ، وهز بلفور رأسه .

لويد جورج : « يجب ان تقوم بقسط وافر من الدعاية . ان صموئيل ضعيف نوعا » .

وايزمن : « ان سخرية الوضع هي اعتبارنا عبئا على دافعي الضرائب في بريطانيه ، وهذا كلام فارغ » ، وذكر السبب ووافق كل من لويد جورج وبلفور على ذلك اما تشرشل فقد عارضه .

أشار وايزمن الى سخافة الاتهام بأننا كنا نأكل خبز العرب — ضحك لويد جورج وسأل كم من النقود صرفنا ، وقد اعجب بجواب وايزمن . وبالاضافة لذلك ، شرح وايزمن الصعوبات التي تعترض طريقه ، وتحدث عما تمثله هذه الاموال بالنسبة للصهيونيين في الوقت الحاضر ، وأصر على أن كل شيء بالنسبة لهم يعتمد على الثقة بالنفس .

تشرشل : « حسنا ، ماذا يرضيكم بالنسبة للهجرة ؟ » .

وايزمن : « لا استطيع تحديد أرقام بل شروط ، مثلا : منح امتياز روتنبرج الكبير » — لقد وافق على فصل الجيش الفلسطيني من القيادة العامة في مصر ، واعتبر تشكيل شرطة محايدة فكرة ممتازة.

اقترح لويد جورج توفير مبلغ من هذه الاموال لاستخدامه في رشوة العرب (٢٠) .

وفي غضون ذلك ، كان المندوبون العرب يجلسون مرتاحين في الفندق . ان الاستخفاف الذي نظر به السياسيون البريطانيون الثلاثة الى القضية الفلسطينية يمكن مقابلته مع الضغط العنيد لمثل المنظمة الصهيونية العالمية . وقد اشار ماركوس سييف الى انه في شهري آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ عقد

(٢٠) — ماينر تزهاجن ، ر. يوميات الشرق الاوسط ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٥٩ ، ص ١٠٣ — ١٠٦ ، وكذلك كتاب سايكس ، سي. ، مفترق الطرق الى اسرائيل ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٦٥ ، ص ٧٩ — ٨١ .

خمسين اجتماعا حزبيا مع رؤساء الاحزاب البريطانية (باستثناء بيفن وتشرشل) بالنيابة عن اسرائيل (٢١) .

ولقد ترك تنفيذ هذه المهمة في صفوف حزب العمال ، الى حزب العمل الاشتراكي اليهودي ، وتقريبافي كل مؤتمر سنوي كان العمال اليهود يقترحون قرارا حول فلسطين مؤيدا للصهيونية ويوافق عليه ، غالبا بالاجماع ، من قبل المندوبين الذين لا يعرفون تفاصيل المسألة (٢٢) . والتأثير نفسه كان يظهر في مطالعات مؤتمرات الاتحادات العمالية . وفي ١٩٤٤ ، قدم السيد اتلي الاقتراح السيىء الذكر القاضي بابعاد السكان العرب وبوضع اسس الاغلبية اليهودية . ويؤكد بعض الباحثين بأن القرار كان من وضع هارولد لاسكي ، رئيس حزب العمال انذاك . انه يشبه واحدا من قرارات عمال صهيون وضع بقالب جديد بشكل ينسجم مع الاتجاه الجديد للوكالة اليهودية . وقبل سنتين بالضبط ، اي في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٢ ، دعا مؤتمر عمال صهيون لاقامة كومنولث يهودي في فلسطين . وخلال المعركة العنيفة ضد الانتداب ، تعرض ارنست بيفن ، وزير الخارجية ، لضغط شديد من قبل بعض زملائه مثل عمانوئيل شنويل وفيليب نويل بيكر وبارنت جانر وسدني سيلفرمان الذين بذلوا جهودا مستميتة لتغيير سياسة الحكومة . وبسبب تدخل فيليب نويل بيكر ، وزير الدولة ، اتخذت اللجنة الانجلو ـ اميركية قرارا جماعيا لحشر وزير الخارجية بعد التوصل الى المأزق والخلافات الحادة في الرأي التي وجدت اللجنة نفسها تتخبط فيها (٢٣) .

---

(٢١) ـ ماكدونالد ، ج ، مهمتي في اسرائيل ، لندن ، ١٩٥١ ، بالانجليزية .

(٢٢) ـ قارن : مثلا ، س. ليفنبرج ، اليهود وفلسطين ، لندن ، ١٩٤٥ ، ص ٢١٥ ـ ٢٥١ ـ بالانجليزية .

(٢٣) ـ كيمشي ، ج. ، الاعمدة السبعة المنهارة ، لندن ، ١٩٥٣ ، ص ٥٨ ـ بالانجليزية . يذكر كيمشي بأن الوزارة كانت تضم ثمانية او تسعة مؤيدين للصهيونية ، لكن لم يكن هناك مرجع واحد حول الشرق الاوسط ، المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

كانت فرنسه بين الحربين مشهورة بتغيير حكوماتها ومع هذا ، فان الدكتور وايزمن يخبرنا بأنه استطاع ان يقابل جميع رؤساء الحكومات بدءا من بوانكاريه حتى رينو ، واتصاله كان من خلال ليون بلوم الذي كان يبقي ناحوم سوكولو ، رئيس المنظمة الصهيونية ، عالما بشكل شبه رسمي بالتطورات الجارية في فرنسه ، كما أن أريستيد بريان كان على استعداد للتعاون « وكان يثني على البرتقال الذي كان يصله منا » (٢٤) . وفي السنوات الاخيرة ، كان مقدرا لمارسيل داسو ، الصناعي اليهودي الشهير ورئيس مصنع الطائرات التي تنتج الميراج ، ان يلعب دورا هاما في الخطط العسكرية لتل أبيب ، فقد عرّف شمعون بيريس ، في ١٩٥٣ ، ببول رينو ، نائب رئيس الحكومة الفرنسية ، وبغيره من الشخصيات الفرنسية الهامة على صعيد السياسة الفرنسية والجيش الفرنسي . وان هذا التعريف مهد السبيل لتسليح فرنسه للجيش الاسرائيلي وللاشتراك بالعدوان الثلاثي .

لم يكن المعسكر الاشتراكي بعيدا عن هذه المناورات . فبينما كان الزعماء العرب في هذا الوقت يرفضون التعامل مع موسكو او اقامة علاقات ديبلوماسية معها ، اقامت الوكالة اليهودية اتصالا مع الاتحاد السوفياتي من خلال الجيش الاحمر المحتل لايران ومن خلال اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية . وان الانقلاب المدهش في موقف الكرملين في ١٩٤٧ بتأييد الدولة اليهودية يبقى سرا غامضا من جهة ، ووجهة نظر من جهة اخرى . ولكن المعروف هو ان الكرملين ، بسبب معلوماته اليسيرة عن الشرق الاوسط ، كان متأكدا من خلال هذه الاتصالات بأن هناك عددا كافيا من الشيوعيين الروس في فلسطين يضمن ان تصبح الدولة اليهودية حصنا للاتحاد السوفياتي والعالم الشيوعي على الشاطىء الشرقي للبحر الابيض المتوسط . وانّ ادراك ستالين للموقف الصحيح في الخمسينات ، اعتبر أحد الاسباب وراء تطهيره « الكوزموبوليتيين الذين لا جذور

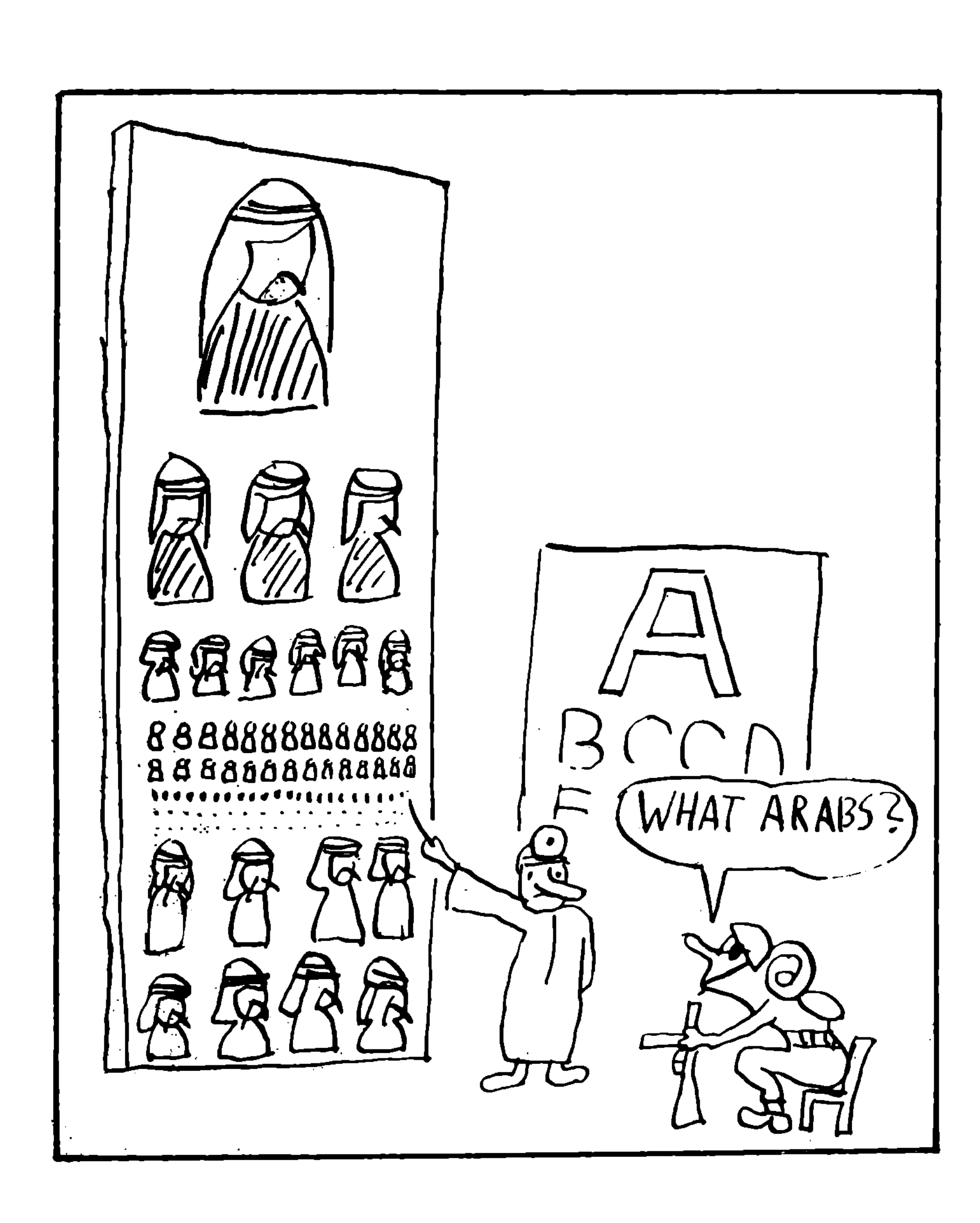
---

(٢٤) — وايزمن ، حـ . ، التجربة والخطأ ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩٥٠ ، ص ٤٥٠ .

لهم » والذين فشلوا في الولاء المطلق للاتحاد السوفياتي (٢٥) . لقد كان للعرب بعض الاصوات في الغرب ، لكن لم يكن لهم احد على الاطلاق في موسكو . ويروي احمد الشقيري في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ ، كيف انه كان يرى المندوبين الصهيونيين يروحون ويجيئون بين مكتبهم ومكتب الوفد السوفياتي في نيويورك خلال الاشهر المصيرية من ١٩٤٧ ، وفي الوقت نفسه لم يجرؤ أي عربي على التوجه نحو ذاك الباب خوفا من اغضاب الاصدقاء الغربيين .

---

(٢٥) ــ قارن : دويتشر ، ا. ، ستالين ، سلسلة بنجوين ، ١٩٦٨ ، ص ٥٩١ ــ بالانجليزية ، ولاكوير ، و. ز. ، الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، لندن ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ ، بالانجليزية .


WHAT ARABS?

(٤)

أي عرب؟

من الممكن ان يحسد العرب المنظمة الصهيونية على قوة التأثير التي تتميز بها ، ولكن هذه هي بالضبط الطريقة التي تسير وفقا لها الانظمة الديمقراطية الغربية : بالاعلان ، وبالابتزاز ، وبالوساطات. ومع هذا فان تذمر العرب يمكن أن يصبح أكثر منطقية عندما يكون الموضوع متعلقا بكبت قضيتهم غالبا بوسائل غير عادلة وغير اخلاقية وحتى غير قانونية .

ان لجوء الصهيونيين لهذه الوسائل تقتضيه طبيعة الصهيونية نفسها ، كارتباط عاطفي واضطراب عصبي انهزامي لا علاقة له بالعقل أو المنطق . ان التهيج العنيف لهذه الحالة من التفكير الناجمة عن جنون الخوف والاضطهاد جعل الصهيونيين يرون كل شيء في ضوء برنامجهم هم ، وكان كل شيء بالنسبة لهم يبرره هدفه النهائي . وبذلك اصبحت ازدواجية الصهيوني ونفاقه وحديثه المتشعب وتزييفه الواضح أشياء طبيعية فيه .

ان اليهود كانوا أول من وقع ضحية التضليل الصهيوني . وكان تلاعب هرتزل بالارقام والحقائق مشهورا في عصره ، فكان يتحدث الى السلطان عن الثراء الذي ينتظره حالما يتم فتح فلسطين ، وكان يقول لليهود بأن السلطان على استعداد لفتح فلسطين اذا ما قدم له اليهود الاموال الضرورية ، وروى للصيارفة مصير اليهود الذين لا يستطيعون الذهاب الى فلسطين بسبب عدم وجود الاموال الجاهزة ، وتحدث لليهود عن تردد الصيارفة بسبب قلة المهاجرين . حتى ان حاييم وايزمن اضطر لان يتمرد على هذا

الاسلوب من « البلف » والتظاهر . وقد بلغ تضليل الصهيونيين مداه عندما زعموا امام نادي العاملين اليهود بأن مفاوضات كانت تجري مباشرة مع السلطان في الوقت الذي لم يكن السلطان قد رأى وجه هرتزل بعد .

واذا كانت القضية بهذا الشكل بالنسبة لليهود انفسهم ، ماذا ستكون الوسائل التي ستتعامل المنظمة الصهيونية من خلالها مع الاغيار ، وبالذات ، مع العرب ؟ ان الصهيونيين على استعداد لان يقولوا لاي شخص يمكن ان يساعدهم اي قول يناسبه هو . فللاحزاب الاشتراكية ، قال عمال صهيون ان الصهيونية هي الاشتراكية واشاروا الى الكيبوتزات ، وللامريكيين تحدثوا عن المشاريع الخاصة في تل ابيب . وأما في بريطانيه فقد بذل جولدرايخ أقصى جهوده بطلب من تيودور هرتزل ، « لاقناع لورد ميلز بأن ما يسمى الامبريالية هو نفسه الصهيونية » (١) . وللعالم اجمع اعلنوا خلال مؤتمر السلام في باريس بأن ما من حكومة تصلح لحكم فلسطين سوى حكومة بريطانيه العظمى العادلة والديمقراطية . وللعرب كان وايزمن يقول بأن البلاد بحاجة الى التدريب تقدمه الايدي المجربة في بريطانيه ، وما ان تؤدي بريطانيه دورها المفيد حتى يصرخوا « فليخرج ابناء تيطس القذرين ! فليسقط النظام البريطاني النازي ! » (٢) لقد أخرجوا بريطانيه من فلسطين وقالوا للدول الحديثة بأنهم حرروا الشرق الاوسط من الامبريالية . وبينما كان عملاء الصهيونية يبلغون ستالين ان اسرائيل ستصبح شيوعية في القريب العاجل ، كان ماركوس سييف يؤكد تقريبا لجميع السياسيين في بريطانيه ان اسرائيل ستتبع النظام الراسمالي . لقد كانوا يصلون من أجل المستقبل المليء بالارباح وكانوا يستقبلون البواخر من المصالح الراسمالية ، ثم يرتلون نشيد الاممية ويطوعون بعد ذلك البحارة الاسبانيين المنفيين . ان استخدام العبرية واليدشية سهل مهمة الدعاة المتعددة الموجات ، فمجموعة أغاني توبول كانت تسمى بالانجليزية — على احد وجهي الاسطوانة : « اغاني الحرية

---

(١) — شتين ، ليونارد ، وعد بلفور — بالانجليزية — لندن ، ١٩٦١ ، ص ٣٤٤ .

(٢) — اذاعة اسرائيل ، ٢٩ — ٦ — ١٩٤٦ .

الاسرائيلية » ، وبالعبرية ، على الوجه الاخر : « اغـــاني توبول الحربية » . وكذلـــك فان كتـــاب اسحق بن زفـــي عن اليهـــود الشرقيين ، مواطني اسرائيل من الدرجة الثانية ، يسمى بالعبرية « المنبوذون في اسرائيل » ـــ نيدكاي يزرائيل ـــ ، ولكن النسخة الانجليزية تحمل العنوان التالي : « منفيون وعائدون » . وبينمـــا كان المندوب الاسرائيلي يبلغ الامم المتحدة بأن تل ابيب توافق على قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ ـــ ١١ ـــ ١٩٦٧ ، كانت الصحف الاسرائيلية تطلب الى الاسرائيليين الاستمرار بهدوء في عمليـــات الضم التدريجي . وهكذا أصبح التضليل سلاح الضعفاء الذين كانوا مضطهدين عبر القرون .

وفي الحقيقة ، ليس هناك من مثل على الخداع الصهيوني افضل من الصهيوني نفسه الذي يدعو طوال حياته الى ان اليهودي لا يشعر بارتياح خارج الوطن القومي اليهودي ، ومع هذا فانـــه يمضي حياته كلها بعيدا عن ذلك الوطن . لقد تم القفز فوق هـــذه التناقضات بكل بساطة عن طريق العنجهية والخطابات العاطفية ، او تستيرها بالابهام والخداع من جديد عن طريق الحيل المختارة للدعاة والمعلنين العصريين ، مثل : التكرار والتخاطب المبـــاشر واثـــارة العواطف وحذف الحقائق الاساسية والخداع البصري ـــ الذهني وعدم اعتبار الحقائق .

لقد تم بكل بساطة اخفاء عشرات القضايا العقلانيـــة التي اثيرت في برنامج بال ، ومن هذه القضايا ما يتعلق بالسكان العرب . وكانت افضل طريقة بالنسبة للصهيونيين هي معالجة القضية على اساس التظاهر بأنه لم يكن هناك أحد في فلسطين . وهكذا نرى ان الاشارة الى السكان الاصليين كانت قليلة جدا ، فهناك اشارة عابرة لهم في كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » وأربع اشارات أيضا في « يومياته » ولكنه لم يذكر المواطنين الاصليين في أي من خطاباته الستة أمام المؤتمرات الصهيونية التي شهدها . وقد كتب ماكس نوردو ، الرجل الثاني بعده ، فـــي الكتيب الذي نشره بعنـــوان « الصهيونية » عن الخيرات التي كان سيجلبها الوطن القومي

اليهودي « للشعوب المسيحية والحضارة والاقتصاد الدوليين » ، أي لا خير للسكان الاصليين وحتى لا ذكر لهم . وقد واصلت المؤتمرات والنشرات الصهيونية تجاهلها لذكر العرب الى درجة ان عددا من الزعماء الصهيونيين مثل آحاد هاعام صدموا عندما زاروا فلسطين ورأوا انها تعج بالسكان . فكتب بعد زيارته للاراضي المقدسة في ١٨٩١ ــ ١٨٩٢ : « نحن في الخارج نعتقد ان فلسطين في هذه الايام مهجورة تقريبا » ، كما ان الشعار الذي طرحه المثلون الصهيونيون امام سياسيي أوروبه الكبار كان « شعب بلا أرض ليقيم في أرض بلا شعب » . ومع هذا ، فان حاييم وايزمن قد انكر انه هو وزملاؤه كانوا يعرفون ان فلسطين يسكنها أي شعب .

ان سيطرة فكرة عدم وجود شبح الشعب بهذا الشكل المذهل كانت تجد لها تعبيرا في كل شيء بعيد الصلة بالشبح . يروي ميشال سيلزر انه قد كلف مرة بكتابة كراسة عن المتحف الاسرائيلي الجديد ، وقد أخبره تيدي كوليك (رئيس « بلدية القدس ») بأن المتحف قد شيد على طراز القرى الفلسطينية العربية . وقد ضمن المؤلف هذه الحقيقة في كراسته ، ولكن طلب اليه فيما بعد أن يغيرها فتصبح : « قرية شرق أوسطية نموذجية » (٣) . وان تغيير اسماء المواقع والاماكن العربية في كل مكان يصل اليه الجيش الاسرائيلي تجسيد لهذا المبدأ .

ان حذف كلمة العربي ــ أي الرجل غير المرئي كما يسميه اوري افنيري ، رئيس تحرير هاعولام هازيه ــ حقيقة اعترف بها معظم الادباء بمن فيهم الصهيونيون انفسهم (٤) ولكن ليس بدون سبب معقول . ان كتابات فرانسيس بايكون التي تخطاها التاريخ

---

(٣)ــ سيلزر ، مايكل ، ارينة الدولة اليهودية ــ بالانجليزية .

(٤) ــ قارن ، شتين ، ص ٩١ ــ ٩٢ ، ان الاديب الشهير نفسه اتبع التقليد الفكري نفسه . ففي رسالة طويلة احتفاء بالانتداب ، عالج مستقبل فلسطين بتوسع لكنه تجاهل ذكر السكان العرب (جويش كرونيل ، ١٨ ــ ٢ ـ ١٩٢١) .

يمكن ان تكون مناسبة بالنسبة للقومية اليهودية . ان نظرية بايكون حول الاوهام العقلية تقول بأن اوهام الجنس البشري التي تشكل نسبة كبيرة من اوهام الانسان تستطيع ان تحيا فقط من خلال الرفض العنيف لجميع الحقائق المجسمة والتي تتناقض مع وهم الجنس البشري . وان نفي الفلسطيني ، في نطاق وهم الجنس البشري عند الصهيونيين ، يشبه نفي أي شعب من الارض الى ما وراء البحر ، ومن القرية الى ما وراء التلة ، ومن السجن الى الموت .

وفي النهاية سيتمكن لجوء الفلسطينيين الفعلي للاسلحة من طرد الوهم وفرض برهان حسي على العقول المترددة ، وقد اضطر الصهيونيون الى معالجة هذا الموضوع ولم يكن امامهم من خيار سوى التشويه والدس ، بأن المقاومة العربية لم تكن سوى عمل « عدد قليل من المسيحيين تحرضهم فرنسه » ثم « مجموعة من العائلات الاسلامية التي تؤيدها المانيه الهتلرية » ، واخيرا « مجموعة من الشيوعيين تشجعها روسيه والصين » ، ووراء ذلك كله « معارضة الشرق التقليدية والدائمة للتقدم » . ولاسناد هذه الادعاءات ، استطرد و . ب. زيف كثيرا في رسم صورة الانسان الفلسطيني المسلم كرجل يتزوج خمس (كذا) زوجات ويقدم واحدة لضيفه ، وبأنه « لا يؤمن بأن للمراة روح » وان العرب يأكلون الهررة والجرذان ، « تحتوي لغتهم ، مثلا ، على مئة اسم للجمل و٩٩ اسما للمراة ولكن لا توجد كلمة واحدة للقتل . ليس هناك كلمة واحدة في العربية يمكن ان تستخدم للتمييز بين ذبح الغنمة وقتل الرجل المتعمد . ويحمل العربي تحت عباءته سيفا طويلا كريه المنظر ... انه ضعيف البنية بشكل عام ... يداوي جروحه باستخدام روث البقر ، وفي حالة مرض العيون يستخدم ضمادات مبلولة ببول الجمل » (٥) . ويتبنى ناحوم سوكولو موقفا

---

(٥) — زيف ، و . ب. ، اغتصاب فلسطين ، لندن ، ١٩٤٨ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ — بالانجليزية .

اكثر شهامة بالتحدث على لسان « واحد من أفضل طلاب المسألة الشرقية المؤهلين » ــ دون تعريفه ــ ، قال : ان العرب ليسوا اكثر من « تجمع مــن مختلف الاجناس والمذاهــب والشيع والانظمــة الاجتماعية... بدو ، برابرة ، غزاة... » والحكومة الوحيدة التي بامكانهم ان ينشئوها هي « من النوع البدوي البربري البحت » (٦) .

وعالج بعض الدعاة ، الاكثر رقة ، القضية الفلسطينية بتعابير أرق كما قال دايان مؤخرا :

« انني احبهم ، صدقوني ، انني واقع بغرامهم . مجرد حب . أحبهم ، احب الناس العاملين بجد ، وكنت اراهم دائما يستيقظون باكرا في الساعة الثالثة صباحا ويذهبون الى الحقول يحملون زادهم القليل معهم في سلة ، ثم يعــودون الى البيت ، يعيشون حيــاة المزارعين التي احبها . كما أحبهم كأفراد » (٧) . وفي الوقت نفسه اكد دايان ان موضوع الاختلاط أو الاندماج بالعرب ليس واردا . ان هذا هو الموقف المتشابه الذي يقفه أي مستعمر يمكن ان يسمح للاهالي بأي شيء سوى ابداء رأيهم .

وبقيام اسرائيل ظهرت حقائق جديدة تتعلق بطــرد اللاجئين وبالاستيلاء على الاملاك العربية ، واضطهاد الاقلية العربية وضم أجزاء اكثر مما خصصته الامم المتحدة . وقد قدمت هذه الحقائق للعالم الغربي بالطريقة ذاتها . وعندما تعرض مجموعة الصور المشوهة ، فان الخدعة كلها سوف تنفضح . لذلك ، فان كبــت المناقشة المعــادية اصبحت جــزءا من استــراتيجية الدعــاوة الصهيونية .

كان اول هدف للصهيونية هو منع الفلسطينيين من ابداء رأيهم بصوت جماعي ذي أثر . فما ان وصل وايزمن الى فلسطين فــي أعقاب الجنرال اللنبي ، حتى بدأ يتحدث ضد اية فكرة تقضي بمنح

---

(٦) ــ سوكولو ، ناحوم ، تاريخ الصهيونية ، بالانجليزية ، لندن ، ١٩١٩ ، المجلد الاول ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ .

(٧) ــ برنامج فروست ، التلفزيون المستقل ، بالانجليزية ، لندن ، ٢٣ ــ ٨ ــ ١٩٦٨ .

الفلسطينيين حق ابداء الراي في تقرير شؤون بلادهم بزعم انهم يفتقدون الى الخبرة السياسية . وبينما منحت الوكـالة اليهودية وضعا قانونيا محددا في الادارة ، حرم العرب من اي منصب رسمي عام . وقد حاولت الحكومة البريطانية اكثر من مرة ان تمنح الشعب مجلسا تشريعيا محدد السلطات ولكن محاولاتها باءت بالفشـل الذريع بسبب مقاومة المنظمة الصهيونية لها . ان جابوتنسكي الصريح والواضح ابلغ اللجنة الملكيـة بأن الانتداب فـرض دون استشارة العرب لذلك يجب ان يتحدد مصيره دون استشارتهم كذلك . ثم اكد انها مسألة بين الامبريالية والصهيونية ولا علاقـة للعرب بالموضوع (٨) .

كانت الصحافة هي الوسيلة الشرعية الوحيدة التي بقيت بين أيدي الفلسطينيين . لكن الصهيونيين لم يألوا جهـدا في الضغط للحد من حرية الصحافة العربية التي كانت مكممة فعلا (٩) . وكانت برقيات الاحتجاج ضد سياسة الوطن القومي اليهودي تختفي قبل ان تصل الى دار الحكومة . وهكذا نجح الصهيونيون في ابقـاء ارثر بلفور غير عالم انه اساء فهم صرخات الاحتجاج والاستنكـار العربية التي سمعها اثناء زياراته الى فلسطين وسوريه ، واعتقد انها تعبير عن الابتهاج والموافقة (١٠) . ومع هذا ، فان قضيته اقل مأساوية من حالة وزراء اتلي العمال الذين ادركوا ، في وقت متأخر نسبيا ، بأن زملاءهم الصهيونيين يقودونهم في طريق صعبة

---

(٨) ــ بيان لجابوتنسكي .

(٩) ــ تقرير لجنة بيل ، كتاب رسمي رقم ٥٤٧٩ ، ص ١١٠ . لقد بعث الصهيونيون برسالة الـى نورمان بنتويش تعليقا علـى انتقادات الصحف العربيـة الفلسطينية : « انت ، المشرف على قوة القانون والذي عليك ان تجعل الاهالي يرتجفون عندما تقطب حاجبيك ، تهاجم (بفتح الجيم) بصراحة وبحرية بشكل لم يهاجم به أصغر موظف تركي ! » بنتويش ، نورمان ، متجول بين عالمين ، لندن ، ١٩٤١ ، ص ١٢٩ .

(١٠) ــ سايكس ، كرستوفر ، مفترق الطرق الى اسرائيل ، لندن ، ١٩٦٥ ، ص ٩٦ ــ بالانجليزية .

المسالك ، وعبّروا عن عدم رضاهم بسبب الاخبار الكاذبة التي كانت تصلهم (١١) .

كذلك فان الادلة المناصرة للعرب كانت مكبوتة في الولايات المتحدة أيضا بفضل المدافعين المتحمسين للصهيونية . وفي خريف ١٩٤٣ شنت حملة واسعة لتوجيه سياسة اميركه في اتجاه مناصر للصهيونية وذلك عندما قام ٥٠٠ حاخام بتقديم مطالبهم الى نائب الرئيس والاس في السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٤٣ . وبعد عدة اسابيع قدمت مشاريع قرارات لمجلس الكونجرس لاقامة كومنولث يهودي في فلسطين ، ولكن الكونجرس حول مشروع القرار الى لجنة الشؤون الخارجية التي كان يراسها الصهيوني صول بلوم ، ولفائدة ومعلومات اللجنة قدم بلوم تلخيصا للموقف الصهيوني ضمنه مذكرة من الوكالة اليهودية . وطبعا لم يعرض الموقف العربي ولكن الاهمال الخطير كان تقرير وزارة الخارجية الذي كان من المفترض ان يطبق السياسة الجديدة (١٢) .

روى وجيه غالي ، الروائي المصري ، الذي كان أول عربي يزور اسرائيل « رسميا » انه عندما كان جالسا مرة في مقهى عربي وهو يرتدي الكوفية والعقال الفلسطيني بدأ مجموعة من السياح الاميركيين يطلقون بعض الاسئلة للعرب الموجودين بواسطة دليلهم اليهودي : « ما هو رأيك في حكومة اشكول ؟ كيف يعاملك الجنود الاسرائيليون ؟ ما نوع الحياة التي تحياها في ظل حكمهم ؟ » وعندما جاء دور وجيه أجاب عن جميع الاسئلة بالعربية بكلمة واحدة رددها عدة مرات ، « رهيب ! » ولكن المترجم ترجم الجواب بكلمة واحدة كررها عدة مرات : « ممتاز » .

---

(١١) ــ كيمشي ، ص ١٥٦ .

(١٢) ــ تايلور ، ص ٧٨ ــ ٧٩ .

(٥)

ليس هناك أي رف كتب عن العرب

بمرور الزمن اصبح للعرب دعاة وأدباء وكتّاب من بينهم انفسهم ، ولم تعد قلة من افنديي الهلال الخصيب تحتكر اللغات الاجنبية . وأصبح على بيت الكرتون الصهيوني أن يصمد في وجه النسيم الذي بدأ يهب من العالم العربي في فترة ما بعد الحرب . وبالسيطرة الفعلية لسوق الطباعة ، لم تعد مهمة دحض وجهات النظر المعاكسة ذات صعوبة .

ومع أن عشرة كتب على الاقل تكتب في العالم العربي سنويا عن قضية فلسطين الا ان القليل منها يستحق النشر في الخارج . ان مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسسة الدراسات الفلسطينية مؤسستان اكاديميتان جنّد لهما في السنوات الاخيرة عدد من الخبراء العرب ذوي الشهرة العالمية . وقد استقبل الصحفيون والخبراء الاجانب مطبوعاتهما بكل ارتياح بسبب موضوعيتها واهتمامها الدقيق بأصول البحث الاكاديمي . لقد اصدر مركز الابحاث الفلسطينية حوالي مئة وعشرين كتابا وكتيبا معظمها بالعربية وبعضها بالانجليزية وبلغات اجنبية أخرى ، ولكن المحاولات لايجاد متعهد وحتى مكتبة لتوزيع هذه الكتب في الغرب قد باءت بالفشل ، وقد عرضت فويلز التي لها قسم كبير للغة العربية في مخزنها في لندن بعض منشورات مركز الابحاث ولكن لوقت قصير . واخيرا ظهرت مقالة في « الجويش كرونيكل » بقلم الميجور جنرال هركبي يهاجم فيها مكتبات شارع « تشيرنغ كروس » التي عرضت كتبا « مناهضة للسامية » . لذلك لا فويلز ولا اية مكتبة أخرى في

شارع « تشيرنغ كروس » تجرؤ على عرض كتب مركز الابحاث الفلسطينية وكتب مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، حتى ان مكاتب بعض الجامعات ترفض استلام نشرات هاتين المؤسستين . وغني عن البيان انهما لا تحظيان باهتمام الصحف أو المجلات السياسية والادبية الدورية .

استطاعت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، التي اصدرت حوالي ٤٠ كراسة وكتابا باللغات الاجنبية ، الاتفاق مع موزع واحد في اكسفورد واخر في هولنده وثالث في السويد ، وجميع الموزعين الاميركيين الذين تم الاتصال بهم ابدوا اعتذارهم لسبب او لاخر وقد تمت هذه الحلقة المفرغة عندما رفضت كل من « كتب تحت الطبع » و« نشرة المكتبة » نشر اعلانات مؤسسة الدراسات الفلسطينية بحجة عدم وجود موزع في الولايات المتحدة ، ليصبح بالامكان نشر الاعلان . ولم يصدر أي كتاب مختص بفلسطين عن مكتبة خياط في بيروت التي تعتبر مؤسسة النشر العربية الوحيدة في اللغات الاجنبية ، وذلك حفاظا على مصالحها التجارية في وجه مقاطعة الموزعين الغربيين .

وليست حال الافراد العرب في الغرب افضل من ذلك . فمنذ صدور قرار تقسيم فلسطين لم يصدر أي كتاب لكاتب عربي حول الموضوع مقابل الاعداد الكبيرة من الكتب التي اصدرها الاسرائيليون الصهيونيون في أميركه وبريطانية ، وذلك رغم صدور كتابات كثيرة للمؤلفين العرب . لقد حاول سامي هداوي نشر « الحصاد المر » في اميركه لكنه لم يفلح فطبعه في بيروت على نفقته الخاصة ، ولم يوزع الكتاب في الغرب .

وقد اضطر الدكتور محمد مهدي أن ينشىء دارا للنشر خاصة به اسمها « نيو ورلد برس » وذلك من أجل اصدار كتبه الثلاثة في الولايات المتحدة . انه من المعجبين بطريقة الحياة الاميركية وقيم الغرب الراسمالية . وقد قدم كتاب « شعب من الاسود المقيدة » الصادر بالانجليزية ، والذي يعالج السياسة الخارجية لاميركه

واثرها على الشرق الاوسط ، الى ٢٥ ناشرا رفضوه بحجة انـــه يحتوي على فصل عن فلسطين ، بل ان « مكتبة الفلسفة » رفضت حتى قراءة المخطوطة ، وبدلا من ذلك اعادت رسالة السيد مهدي مع بعض كلمات بالحبر الاحمر : « نعتذر عن طبع الكتاب . ان الاراضي التي يحتلها اليهود جرداء ومع هذا يهتمون بها جيدا ، اما الاراضي العربية الشاسعة فان معظمها ملك لحكام أنانيـــين يسيئون ادارتها » (١) . وكان ذلك سببا كافيا للتجاهل الاعتباطي لكتاب مغترب عربي في اميركه يعمل استاذا في الاكاديمية الاميركية للدراسات الاسيوية .

ومذكرات الملك حسين الهامة عن « حرب الايام الستة » هي احدى الكتب العربية التي صدرت في الغرب . وقد شرح السيد اروين ، ناشر الطبعة الانجليزية ، انه كيهودي كان عنده بعض الشكوك حول طبع الكتاب لكنه وجد ان الكتاب يصور الزعمـــاء العرب بشكل سيىء ، فقرر تحمل مسؤولية طبع الكتاب .

وكاتب هذه السطور ، الذي يمكن ان يوصف بأنه اي شيء عدا انه متطرف، واجه المشكلة ذاتها في لندن عندما اراد نشر مخطوطته عن التوسع الصهيوني . وكل مرة كانت المخطوطة ترفض بحجة انها « متحيزة جدا » كان المؤلف يعمد الى بعض الحذف والتعديل لتناسب الناشر الاخر حتى ايقن الكاتب ان المخطوطة سوف تصبح صهيونية بشكل كلي قبل ان يهتم بها اي ناشر . وكتب اليه وكيله يعتذر عن عدم تمكنه من المساعدة في كتاب « يعطف عليه جميع النـــاشرين البريطانيين » .

وقد واجه الكتّاب غير العرب الذين غامروا في سلوك طريق مناهضة الصهيونية مشكلة مشابهة لهذه . فلم يستطع هدلي كوك نشر كتابه « اسرائيل ، بركة ولعنة » في بلاده ــ الولايات المتحدة ،

---

(١) ــ من منشور على غلاف الكتاب ، مهدي ، محمد ، امة من الاسود المقيدة ، نيو ورلد برس المركز التجاري العالمي ؛ بناية فيري ، ١١ سان فرنسيسكو ، كاليفورنيه ــ بالانجليزية .

فاضطر الى طبعه في بريطانيه ولكن لم يقبل أي موزع اميركي استلام الكتاب ، وواجه البروفسور جون ديفيز ، المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وضعا مشابها لهذا ، ولكنه كان محظوظا لقبول جون موري نشر كتابه المعتدل « السلام المراوغ ». ولكن الناشرين لم يتمكنوا من توزيع الكتاب في بلاد البروفسور ديفيز رغم محاولاتهم المتكررة ، وقد ادعى أحد الموزعين بأن السوق مشبع بالكتب التي تعالج هذا الموضوع ، ولكن بعد ذلك مباشرة ظهر كتاب مناصر للصهيونية في السوق نفسه في الولايات المتحدة .

وموشيه منوحين ، الكاتب اليهودي المناهض للصهيونية ، واجه صعوبات أسوأ من ذلك بسبب كتابه « انحلال اليهودية في عصرنا » ، فاضطر الى طبعه على نفقته الخاصة . وفي مقالة طويلة صريحة نشرتها مجلة « قضايا » بالانجليزية روى السيد منوحين قصة كتابه . ورغم ان المؤلف رجل في السبعينات من عمره وضعيف الصحة ، أعطى بذلك العمل مثلا عظيما في قوة التصميم والارادة الشخصية البحتة لايقاف عجلة « محدلة » البخار العملاقة لوسائل الاعلام الصهيوني ، فقد عمل على بيع جميع نسخ كتابه وجعل الشعب الاميركي بأجمعه يتحدث عنه ، لقد عاش في فلسطين كشاب صهيوني ، ودرس العلوم السياسية في الولايات المتحدة وعاش مع يهود اميركه ، فلم يكن يجهل الضغط الصهيوني :

« ولكنني لم اكن مهيأ لما حدث : فبعد اصدار كتابي بفترة قصيرة حدث ان بدأ هجوم غير مرئي وسري ومنظم جدا على جبهة تمتد على طول الولايات المتحدة وعرضها ، اوقف كتابي في ارضه وخنق كل حركة اتيت بها وتركني معزولا ومسحوقا مغدورا في محيط الدائرة اليهودية الاميركية . ان هذه هي البيئة بالذات التي كنت آمل ان اساعدها بايضاح انحدار اليهودية وانحلالها في عصرنا بكبت مثلها الروحية والاخلاقية والنبوية ... » (٢) .

---

(٢) ــ « قضايا » صيف ١٩٦٦ ــ بالانجليزية .

وفعلا كان السيد منوحين مضطهدا من قبل عناصر « بنــاي بريث » المشهورين في الولايات المتحدة بتحديهم لمعارضيهم المناهضين للصهيونية . فقد حرق الكتاب في المحلات العامة كمــا حطمت الواجهات التي كانت تعرضه . ان مثل هذه الاعمال تقوم بها « بناي بريث » في جميع أرجاء الولايات المتحدة منتحلة ، وبكل سخريـــة ، اسم « جمعية مناهضة التشهير » . وعندما نفدت الطبعة الاولى من « انحلال اليهوديـــة في عصرنا » حاول المؤلف انزال طبعة ثانية الى الاسواق ولكن الناشرين رفضوا ذلك نتيجة للضغط الصهيوني العنيف الذي تعرضوا له بسبب نشر الكتاب ، وكان رفضهم ذلك خرقا لبنود العقد الموقع مع منوحين . وقد تسلم محامو منوحين القضية ولكنهم لم يستطيعوا ان يقوموا بشيء اكثر من تسجيـــل القضية في المحكمة (٣) .

وفي مقابلة آنيا فرانكوس مع صحيفة « الجمهورية » القاهرية قدمت الكاتبة الفرنسية الشابة صورة مشابهة من الاضطهاد الذي تعرضت له في فرنسه بسبب كتابها « الفلسطينيون » . وقد وصل الاضطهاد لدرجة ان امها كانت تتلقى مكالمات هاتفية تهدد بقتـــل آنيـــا (٤) . وقد ذكرت آنيـــا نقطة اخـــرى ، وهي ان كتابهـــا « الفلسطينيون » هو الوحيد بين كتبها الاخرى ، الذي بقي لفترة طويلة موضع تجاهل من قبل النقاد الذين ابقوه مدفونا في حفرة من الصمت .

ان الصورة المتكاملة « للمحدلة » الصهيونية البخارية تبـــرز كآلة متعددة المراحل . فأولا ، يمنع الكتاب غير المرغوب فيه مـــن الوصول الى عالم النشر . ومع هذا فان الســـوق ليس معزولا كالدير . ليس هناك ارقام حول الموضوع ، ولكن نسبة دور النشر التي هي في حوزة الاغيار تبلغ ٢٠ بالمئة ، وفقا للارقام التي اعطاها « كيرتس براون » للكاتب . ويمكن للقضية العربية ان تتسلل الى دور النشر الصغيرة ، هنا وهناك ، عند ناشر صغير لم يتعرض بعد

---

(٣) ــ حسب ما كتب منوحين الى المؤلف .

(٤) ــ « الجمهورية » ٦ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ .

لجهاز الضغط الصهيوني . فمثلا ، نجح الان تايلور في أن يجعل أحد دور النشر الصغيرة في لندن : « دارتون ، لونجمانز أند تود » ، أن تقبل بنشر كتابه « تمهيد لاسرائيل : تحليل للديبلوماسية الصهيونية ». ثانيا ، تبدأ عرقلة عملية التوزيع والدعاية ، فكنت نادرا ما ترى كتاب « تمهيد لاسرائيل » في المكتبات ، كما لم تنشر اي من الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية في بريطانيه ، وطبعا خارجها ، نقدا للكتاب . فلم يكن هناك أي خيار أمام الناشرين سوى ايقاف تزايد خسائرهم ببيع الكتاب بأسعار مخفضة .

وفي المملكة المتحدة لم تنشر أية صحيفة اعلانا عن الكتاب الذي نشره جون موري « السلام المراوغ » الذي تعرض لصعوبات مماثلة عند توزيعه وبيعه . كذلك فان كتاب مكسيم رودنسون « العرب واسرائيل » كان ايضا موضع تجاهل من قبل الصحف الوطنية البريطانية اليومية رغم المركز المرموق الذي يتمتع به رودنسون كواحد من اشهر المستشرقين العالميين والمختصين في شؤون الشرق الاوسط ، وقد ظهر اعلان في ملحق « التايمز » الادبي مشيرا الى الطبعة الفرنسية دون ذكر الطبعة الانجليزية . فمن بين جميع الكتب التي نشرتها « بنجوين » كان هذا من الكتب التي لم تشاهد سوى نادرا على واجهات المكتبات .

يذكر موشيه منوحين في مقالته ، المشار اليها انفا ، بأن محاولاته لنشر نقد لكتابه في باب او اخر من الصحف قد باءت بالفشل . وقد اكتشف ان النسخ التي كان يرسلها لرؤساء تحرير الصحف والمجلات الاميركية الكبرى قد تم حجزها قبل وصولها لاصحابها . وان الكتب التي يؤلفها كتّاب عرب وتنشر بشكل خاص أو بواسطة منظمات عربية يتم ضرب ستار من التجاهل المطبق حولها عدا ذكرها في باب المطبوعات الخاصة . ان نقد الكتب التي تتعلق بالشرق الاوسط والتي تصدر في اميركه وقف على اليهود الصهيونيين مثل : هال ليهرمان ، والتر لاكر ، د. شميدت وج. هوروفيتز .

وبعكس هذه المعاملة وبينما لم يذكر كتاب منوحين عن اليهود

في اية صحيفة انجليزية عدا « الجويش كرونيكل » نرى أن كتاب ليتفنوف عن اليهود « الشعب العجيب » منح مقالتين على الصفحة الاولى كلها من « الاوبزرفر » في يومي أحد متتاليين ، وهذه المعاملة تحفظ عادة لمذكرات اشهر الشخصيات العالمية ذات الاثر الواسع .

لقد تم خنق تقرير لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي الذي عرض سوء استخدام الصهيونية للتبرعات التي يدفعها الاميركيون من اجل التأثير على عقول هؤلاء الاميركيين . ولم يتحدث عن التقرير سوى محطة اذاعة كولومبيه ، وفي مناظرة ضمن برنامج قضايا هامة علق السيد ريزونر ، كبير مراسلي شبكة اذاعة كولومبيه على ذلك بقوله: « لم أكن أدري اننا الشبكة الوحيدة كما انني لا اعرف ما هي الدراسة ، ان ذلك جهل ، وانا آسف لذلك » (٥) .

وبالرغم من ذلك ، فان عددا قليلا ، واحدا او اثنين ، من الكتب المناهضة للصهيونية تنجح في جذب الانتباه وتوزع على نطاق واسع ، ويكون ذلك بسبب غلطة تكتيكية من جانب الصهيونيين انفسهم الذين تشكل حماستهم المتزايدة ، بدون ادنى شك ، عقب آخيل بالنسبة لهم ، فهجومهم على الطلبة العرب الذين عرضوا كتاب منوحين تحول الى قضية اشغلت الشعب الاميركي كله واثارت فضول اولئك الاميركيين اللامبالين مما جعل الطلب على الكتاب يتضاعف . كما ادت الهجمات الشريرة على كتاب « الفلسطينيون » لآنيا فرانكوس في الصحف اليهودية الفرنسية الضيقة الانتشار الى هجمات معاكسة ، ولفت التصادم انظار الصحافة الوطنية مما اثار اهتمام الجمهور بالكتاب . وهنا تبدأ المرحلة الثالثة ويتم اطلاق شياطين التعذيب الذين يسومون الكاتب الذي يعتبر انه اساء لهم جميع صنوف الاهانة والتحقير والتهديد والمقاطعة والضغط الاقتصادي .

ومما يظهر فان العملية ليست نتيجة لحماسة فردية ، فالاموال

---

(٥) ـ « قضايا » ربيع ١٩٦٥ ـ بالانجليزية .

المخصصة لوسائل الاعلام الصهيونية لعمليات مثل : « المراقبة » ، « الرد » ، « التأثير » وغيرها من التوجيهات السياسية التي نشاهد على صفحات تحقيقات الجرائد الصهيونية تترك لدينا اعتقادا كافيا بأن مثل هذه الحملات منظمة وممولة . لقد لخص « تقرير دائرة الاعلام في اميركه » التي تلقت ٧٥٠ الف دولار خلال السنة التي صدر فيها قرار تقسيم فلسطين ، أعماله بالشكل التالي : « عندما يصدر كتاب مثل « أمة من الاسود المقيدين » تأليف مهدي يهاجم اسرائيل ويهود اميركه بعنف نلفت اليه نظر مجالسنا المحلية وجمعيات الجالية اليهودية وغيرهم من الاصدقاء في جميع أرجاء البلاد . . . » ومن بين الواجبات التي تنفذها اللجنة « التحذير من جميع النشاطات العربية واصدقاء الشرق الاوسط الاميركيين وسواهم من الجماعات المعادية والرد عليها » (٦)ولقد اعطى التقرير الذي نشرته لجنة فلسطين الاميركية المسيحية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٨ نماذج من الضغوط التي تعرضت لها الكنيسة ، « وكذلك فان رسالة خاصة ارسلت الى الخوري . . . من . . . تعبر عن الدهشة والاسف لان اسمه اصبح مرتبطا بمخطوطة . . . . ان نسخا من رسائلي الى الخوري . . . والخوري . . . كانت على أمل انها ايضا يمكن أن تشجع . . . على سحب تأييده لرسالة وكتابات . . . » (٧) أما تقرير كانون الثاني (يناير) فقد تحدث عن الضغط المفروض على الكهنة الاميركيين المناصرين للعرب لجعلهم يغيرون موقفهم المناصر لقضية الفلسطينيين . ان اللغة التي تستخدمها البيانات الصحفية الصهيونية عند حديثها عن الكتب المعادية ، لها رسالتها المثيرة بالنسبة للموالين لها ، رسالة يمكن أن تصبح احيانا دعوة صريحة للرد المباشر .

ومع هذا ، فعلى العرب ان لا يظنوا أن القوائم الطويلة من الكتب المناصرة للصهيونية التي تنشر كل سنة مقابل كتاب او كتابين

(٦) ــ استجواب صادر عن لجنة مجلس الشيوخ الاميركي ، ص ١٣٤٥ و١٣٣٩ ــ ١٣٤٠ .

(٧) ــ المصدر نفسه ، ص ١٢٩٩ .

لمناصرة فلسطين هي **كليا** نتيجة المراقبة الصهيونية أو حتى التأثير الصهيوني . ان الملاحظ للاحداث يكون أقرب الى الحقيقة لو انه ظل على مرأى من سلسلة المواقف السيئة التي وجد الفلسطينيون أنفسهم فيها . فقد احتل الاسرائيليون البلاد وباشروا في تنفيذ برنامج تهديمي يهدف الى تثبيت الامر الواقع عن طريق تغيير المشاهد السابقة للاراضي المقدسة . وان عملهم يظهر بأنه بنّاء ونافع وعلى الاقل ايجابي . انهم لا يريدون بكاء ولا صراخا ، فكلما كتب أو قيل عنهم وعن القضية أقل ، كلما كان ذلك أفضل لهم . وبالمقابل ، فليس لدى الفلسطينيين المطرودين ما يظهروه سوى خيم الاونروا . وهكذا فان الكاتب المناصر للعرب مضطر لان يتخذ موقفا سلبيا ، أي أن لا يقوم بشيء سوى مهاجمة الاخرين والتلميح والتركيز على المناحات ، ونتيجة لذلك ، فان زيارته لأي وكيل نشر ستكون مبعثا على عدم الارتياح لهذا الوكيل اكثر من الزائر الذي يحمل مخطوطة عن « تحويل الصحراء الى فردوس » ، حقيقة أم ادعاء ــ وذلك لان العالم يهتم أكثر في مراقبة الاعمال من الاستماع الى الاستغاثات .

ان كتاب السير جوفري فيرلونج عن سيرة موسى العلمي « فلسطين بلادي » لم تواجه مثل هذه الصعوبات عند نشرها ، كما أن الصحف رحبت بصدور الكتاب . ان امتشاق منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، وحركة المقاومة العربية بأجمعها ، السلاح وانتقالها الى الخطوط الامامية للنزاع بدأ يجذب اهتمام الصحافة الدولية لدرجة أن « الدايلي تلجراف » خصصت أحد ملاحقها الاسبوعية الملوّنة في ربيع ١٩٦٩ للكفاح المسلح الذي يخوضه الفدائيون الفلسطينيون . ان لندن وواشنطن لا تفهمان سوى بلغة البندقية .

(٦)

القضية في الصحف

ان معالجــة القضية الفلسطينية في الصحف الغربية يتبــع النمط ذاته المتوقع نتيجة لمعطيات الواقع ، وهذه المعطيات هي : الوجود الصهيوني المكثّف ، والعبودية لوكلاء الاعلانــات ، والجو العام المناهض للعرب ، والخوف من التخويف الصهيوني . قلمــا يمكنك أن تعثر على اي عربي يعمل مع الصحف والمجلات الغربية لتقدم تقاريره وانباؤه عن الشرق الاوسط صورة صادقة عن عدم التوازن . . وبينما لا نسمع عن أي عربي يعمل كمراسل لاية صحيفة أو اذاعــة غربية في الشرق الاوسط ، نجد أن أغلبية المراسلــين الاجانب في اسرائيل ، اما يهود صهيونيون أو اسرائيليون . فمراسل هيئة الاذاعة البريطانية في تل ابيب هو الصهيوني المتحمس مايكــل الكنز الذي تعتبر كلماته ولهجته كافية للدلالــة عليه ، ولهيئة الاذاعة البريطانية مراسل آخر هو جون كيمشي المعروف جيدا ارتباطــه بالتوسعيين من المتطرفــين الاسرائيليين . ويظهر أن تحقيقــات ومقالات كيمشي في صحف لندن المسائية قد أدت الى ردة فعل مؤخرا لدرجة انه ليس هناك اي انسان مدرك يمكن أن يقبلها بصورة جدية .

اما « التايمز » فانهــا تعتمد علــى موشيه بريليانت ودافيد سباينر لكتابة تحقيقاتها عن اسرائيل ، و« الدايلي تلجراف » تعتمد على مئير اشير ، والذي يكتب عن شؤون فلسطين في « الجارديان » هو والتر شوارتز . وفي الحقيقة ، فان ما يرسله هؤلاء المراسلــون من تقارير ليس سوى تفسير للبيانات الرسمية التي تذيعها دائــرة الاعــلام الاسرائيلية . وقد كتب هــؤلاء في « التايمز » يصفــون

الفـــدائيين الفلسطينيين بأنهم « عصابات ارهابية » والطـــائرات المصرية بأنها « طائرات معادية » (١) كمـــا أن الفدائيين الوطنيين العرب النشطين كانوا يسمّون « العصابات الناصرية » .

ومن جهـــة الاستقبال ، فان الانباء التي يـــذيعها التلفزيون والاذاعة عن الشرق الاوسط غالبا ما يتم تحريرهـــا تحت ضغط الجماعات الصهيونية كما ينعكس ذلـــك في التحقيقات الاسبوعية التي تنشر في « الجويش كرونيكل » . وكثيرا ما تضرب السفارات الاسرائيلية ضربتهـــا عن طريق توجيه رؤساء التحرير لحـــذف أو تعديل تحقيقات مراسلي الاذاعات في ضوء **الحقائق** التي **يعرفونها** هم . والوضع بالنسبة للتحقيقات المؤيدة للعرب هو أنها يجب أن تبرهن والاّ تلغى . فمثلا ، اتصلت السفارة الاسرائيلية ببول مارتن من « التايمز » تلفونيا تطلب اليه اسناد تحقيقه عن انفجار قنبلـــة في القدس ، أو أن يسحب التحقيق . وبالنسبة للقصص الاسرائيلية فليس من المطلوب اثبات صحتها . ان عدم دقة بعض التحقيقـــات العربية والموقف الاستعماري التقليدي تجـــاه الشعوب الافرو ــ آسيوية لم يحسّن الوضع بالنسبة الى الجانب العربي . ان جهل معظم الصحفيين والمحررين للصهيونية واليهودية والاسلام والشرق الاوسط بشكل عام يجعل للاتصال التلفوني تأثيرا كبيرا على اذن المحرر المشغول جدا . وان مراسل اذاعـــة كولومبيه المشار اليه سابقا ، جعل من جهله للموضوع سببا كافيا لعدم معالجة الموضوع بالمـــرة .

لقد حاول ميشال سليمان دراسة ردود فعل الصحف الاميركية تجاه الشرق الاوسط متخـــذا من « حرب الايـــام الستة » أساسا لدراسته ، وقد درس معالجـــة الازمة فيصحف اميركـــه السبع الكبرى وهي : «نيويورك تايمز» ، «لايف» ، « يو . اس . نيوز أند

---

(١) ــ « التايمز » ، ١٩٦٩/٥/٢٨ ، ١٩٦٩/٥/٢٢ . ان مـــا عولج في هذا الكتـــاب ليس سوى النشرات الممتازة التي هي اكثر موضوعيـــة وعطفـــا في معـــالجة وجهة النظر الاخرى ، أما الصحف الصفراء والجرائد اليومية العامة جدا ، فانها لا تحتاج الى أية معالجة .

ورلد ريبورت » ، « ذي نيشن » ، « نيو ريببلك » ، « نيوز ويك » و« تايم » (٢) . لقد اكتشف ان ٣٦،١ بالمئة من الانباء المتعلقة بالشرق الاوسط خلال ايار (مايو) وحزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت مؤيدة لاسرائيل ، وان ٣،٨ بالمئة مؤيدة للولايات المتحدة الاميركية و٢،٣ بالمئة مؤيدة للامم المتحدة و٨،٠. بالمئة مؤيدة العرب ، والصورة تصبح أكثر اشراقا عندما ننتقل الى الافتتاحيات التي لا يقرأها القارىء العادي في اكثر الاحيان ، وهنا فان ٢٠ بالمئة فقط مؤيدة لاسرائيل و١٥ بالمئة للولايات المتحدة و١٠ بالمئة للامم المتحدة ، والاختلاف الحاد في المواقف بالنسبة لتغطية الانباء يمكن أن يوضح بجدول يحدد مصدر المواد المنشورة :

النسبة المئوية لمصادر الانباء المتعلقة بالشرق الاوسط* أيار (مايو) — حزيران (يونيو) ١٩٦٧

اسم المجلة	ج.ع.م.	الاردن	سوريه	لبنان	اوروبه	الولايات المتحدة او دون مصدر	الامم المتحدة	امرائيل	مجموع الانباء
نيويورك تايمز	٣،٩	صفر	صفر	صفر	صفر	٩٠،٢	صفر	٣،٩	٢٦
لايف	١٥،٤	٧،٧	صفر	صفر	صفر	٧٧	٧،٧	٤٦،١	١٣
يو. اس. نيوز اند ورلد ريبورت	٢،٣	٢،٣	صفر	١١،٦	١٦،٣	٤١،٨	صفر	١٦،٣	٤٣
ذي نيشن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	١٠٠	صفر	صفر	٥
نيو ريببلك	صفر	صفر	صفر	١٦،٦	صفر	٥٠	١٦،٦	١٦،٦	٦
تايم	٢٠	١٠	صفر	صفر	١٠	٨٠	٣٠	٤٠	١٠
المعدل المئوي	٥،٨	٢،٩	صفر	٥،٨	٧،٨	٦٦	٤،٩	١٨،٤	١٠٣

(٢) — ظهر النص الانجليزي للدراسة في كتاب « مقالات في الراي العام الاميركي وقضية فلسطين » (سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٥٣) وظهرت ترجمة عربية في « فلسطينيات : المجموعة الثانية » (سلسلة كتب فلسطينية رقم ١٨) وترجمة فرنسية في « المواجهة الاسرائيلية العربية — حزيران ١٩٦٧ » (سلسلة دراسات فلسطينية رقم ٥٧) والمنشورات الثلاثة صادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

* باستثناء العامود في أقصى اليسار والصف السفلي ، فان جميع الارقام تدل على النسبة المئوية (في عدد الانباء) لتغطية الصحف للانباء الصادرة من بلد ما أو منطقة معينة وتكون عن ذلك البلد أو تلك المنطقة . لو جمعت الارقام افقيا لزادت على ١٠٠ بالمئة لان مصدر بعض الانباء يكون اكثر من بلد واحد .

ان هذا الوضع غير العادي تكرر في بريطانيه ودفع المحررين العرب في القسم العربي في هيئة الاذاعة البريطانية الى اثارة المسألة خلال الحرب والتهديد بالاضراب . وقد تلقوا جوابا سريعا ، كما كان يعطى في كل مكان آخر في عدة مناسبات ، مفاده انه لم يكن هناك من مصدر آخر للانباء من مسرح العمليات ، ان هذا صحيح **جزئيا** وعلى العرب ان يواجهوا الحقيقة ويتحملوا قسطهم من اللوم . ان الجدول السابق يثبت شيئا آخر هاما ، من خلال قراءتنا للارقام : ٥،٨ بالمئة من الانباء مصدرها لبنان ، و٥،٨ بالمئة مصدرها ج.ع.م. ، و٢،٩ بالمئة مصدرها الاردن وصفر بالمئة مصدرها سوريه . ان عدم تجربة العرب في الاعلام ومعرفتهم المحدودة في الامور العسكرية ترك الرقيب دون اختيار سوى أن يعمل قلمه الاحمر بأمان كما يشاء . وطبعا ، كان للتغيرات السياسية في العالم العربي وارتيابها في الغرب تأثير على المراسلين الاجانب الذين يزورونها . ولكن القول بأن جميع الانباء المؤيدة لاسرائيل ترجع لهذه الاسباب هو مجانبة للحقيقة .

نتجت الثغرة الواسعة في معالجة ازمة ١٩٦٧ عن سوء الفهم الواسع لطبيعتها . ان احدى النقاط التي يتم تجاهلها في تلك المعالجة هي أن العرب لم يكونوا في وضع يريدون فيه مهاجمة اسرائيل في سنة ١٩٦٧ ، ولكن الحكومة الاسرائيلية هي التي كانت تنتظر الفرصة السانحة لسحق اعدائها واحتلال اراضيهم . ان هذه الحقيقة معترف بها في معظم البلدان بما فيها اسرائيل التي اعترف بها رئيس أركان جيشها آنذاك ، المايجور جنرال اسحق رابين (٣) . ومع هذا فلم يكن هناك اية صحيفة انجليزية نشرت سجلا صحيحا لما حدث . ولقد كتبت الآنسة فاليري اتكنسون من « لجنة القدس » الى « الاوبزرفر » حول هذه الحقيقة وتجاهلها الخطير . وبدلا من أن ينشر رئيس التحرير رسالتها ، ابلغها بشكل خاص « بأن العرب لم يعدموا الوسائل لجعل قضيتهم وآرائهم

---

(٣) — قارن : باماشين ، ١٩٦٧/٦/١٢ .

معروفة في هـــذه البلاد » ، (٤) وهكـــذا بقي القسم الاساسي من القضية غير معروف في بريطانيه .

ان الكتَّاب والديبلوماسيين وطلبة الجامعات العرب يروون قصصا طويلـــة عن فشلهم في جعل رسائلهم وتعليقاتهم تنشر في الصحف . لقد سمحت « التايمز » لأرنولد ويسكر أن يقوم بحملةهجوم على العرب ويتحدى زملاءه الكتَّاب من بينهم ، ولكن عندما رد كاتب مسرحي عربي على التحدي ، لم يسمح بنشر رده . ولكن مفكرا عربيا آخر هو الدكتور ا. زايد أجاب عليه بشكل خاص ، وقد نشر الرد الاخير ، ولكن ليس في « التايمز » التي بدأت التحـــدي الذي قرأ عنه قراؤها الذين يزيدون على المليونين ، بل في « فري بالستاين ـــ فلسطين الحرة » التي لا تصل لاكثر من عدة مئات من القـــراء الانجليز (٥) .

يظهر بأن رؤساء التحرير يتبعون مخططا محـــددا في اعطاء الصهيونية افضلية على وجهة النظر العربية المناهضة لها ليس فقط عن طريق نشر رسائل معادية للعرب اكثر من الرسائل المعاديـــة لاسرائيـــل (ذكر الفرد ليلنتال بأن نسبة هذه الرسائـــل هي ١٠:١ لصالح اسرائيل) ولكن اعطـــاء المدافعين عن الصهيونية الكلمـــة الاخيرة في النقـــاش . ويمكن أن نرى هذا المخطط في التلفزيـــون ورسائل الى المحرر وفي المقالات الخاصة . فخلال النصف الاول من سنة ١٩٦٩ نشرت « نيو أوت لوك » و« التايمز » مجموعتين من المقالات الخاصة المتتالية ، كما نشرت « الدايلي اكسبرس » سلسلة من الرسائل بقلم كاترين هادلي من الاردن واسرائيل وجعلت للنص الاسرائيلي في كل مرة الكلمة الاخيرة (٦) .

---

(٤) ـــ حسب مراسلات رآها الكاتب .

(٥) ـــ « فري بالستاين ـــ فلسطين الحرة » ، شباط (فبراير) ١٩٦٩ .

(٦) ـــ « نيو أوت لوك » ، نيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، « التايمز » ، ٢٦ آذار (مارس) ، « دايلي اكسبريس » ١٩٦٩/٥/١٨ (المقالات الاولى) .

ان الرد على تهمـــة التحيز هو أن الصحافـــة ليست سوى مرآة تعكس شعور الجمهور وآراءه . ولا شك بأن هذا الادعـــاء موضع نقاش. وبما ان الصهيونية نجحت في اكتساب عطف الجمهور، بصرف النظر عن « كيف » و« لماذا » ، فقد أصبح الصحفيون في وضع يرددون فيه صدى هذا العطف . وطبعا فان القاعدة الذهبية للمجتمع الراسمالي هي : لا شيء ينجح كالنجاح . على الرغم من ارتـــداد الصحفيين عن مبادىء الديمقراطية الليبرالية ، نجد هنا مثالا ممتازا يوضح كيف ان عطف الجمهور ، ليس في الحقيقة ، عطفا أصيلا أكثر من أصالة الكريما الاصطناعية التي تستعمل في « الآيس كريم » (٧). من الجائز ان يكون عطف الجمهور البريطاني على اسرائيل اكثر من عطفه على الفلسطينيين ، ولكن ان يكون عطفهم على يهودي عراقي يشنق في العراق بسبب التجسس اكثر من عطفهم على عربي مسيحي او عربي مسلم يشنق في المكان نفسه وللتهمة نفسها فهو أمر قابل للنقاش . ومع هـــذا فان التناقض في معاملـــة الصحف لا يمكن الا ان يحرج وجهة النظر الديمقراطية . لقد شنقت الحكومة العراقية ٣٦ شخصا بتهمة التجسس في الفترة الواقعة بـــين كانون الثاني (يناير) وأيار (مايو) ١٩٦٩ على أربع دفعات . ولم يرتفع صوت الصحف سوى عند اعدام الدفعة الاولى في كانون الثاني ، فقد نشرت معظم الصحف تقريبا الخبر على صفحاتها الاولى بعناوين صارخة ، كما نشرت هـــذه الصحف صورا كبيرة لعمليات الشنق على هـــذه الصفحات وكتبت بجانبها افتتاحيات نارية حول الموضوع . فمثلا ، خصصت « التايمز » الصحيفة المحترمة والمتزنة ، ٤٦٠٠ من كلماتها القيمة على الحادث بالشكل التالي :

---

(٧) ــ ان الادعاء بأن الصحافة هي انعكاس للراي العـــام قد اثبت بطلانـــه من قبـــل مؤسسة جالوب للراي العـــام التي أظهرت وفقـــا للاسئلة التي اعطيت فـــي ١٩٦٨/٧/١٤ ، بأن ٤١ بالمئة من اولئك الذين اجابوا على الاسئلة فـــي اميركه لم يكن لديهم فكرة عن منشأ « حرب الايام الستة » ، وان ٥٩ بالمئـــة عارضوا تزويد اسرائيل بالاسلحة ، و٦١ بالمئة يعارضون كل تدخل اميركي في النـــزاع العربي ــ الاسرائيلي ، و٧٩ بالمئة يعارضون ارسال وحدات اميركية الى مسرح العمليات .

٢٨ كانون الثاني : مقالة طويلة على الصفحة الاولى ، وقصة طويلة على الصفحة الثامنة، وافتتاحية بعنوان : « فظائع بغداد » .

٢٩ كانون الثاني : مقالة طويلة على الصفحة التاسعة، صورة كبيرة للاعدامات في الداخل ، ثلاث صور اخرى على الصفحة الاخيرة.

٣٠ كانون الثاني : تحقيقات على الصفحة الاولى .

٣١ كانون الثاني : تحقيق جديد على الصفحة الاولى .

أما المجموعة التي أعدمت في شباط (فبراير) والتي لم يكن فيها يهود ، لم يكتب عنها سوى تحقيق موجز من مئة كلمة في الصحيفة نفسها. ولو اعتبرنا الرقمين كدليل،لكانت نسبة التحيز تعادل ٤٦:١ . وقد نشرت «التايمز» رسالة من كاتب هذه السطور في شجب اعدامات كانون الثاني ، اما الرسالة الثانية حول مجموعة شباط فقد « حازت على اهتمام » رئيس التحرير فقط . وفي هذه الفترة ، تم حبس ٣١ مثقفا واستاذا جامعيا في تونس بسبب تأييدهم النشيط للقضية الفلسطينية . وباستثناء « بلاك دوارف » و« بيس نيوز » ، المجلتين البريطانيتين الاسبوعيتين اليساريتين ، لم تشر أية صحيفة في المملكة المتحدة الى هذا النبأ الوارد من تونس ، وقد تجاهلت « التايمز » الرسالة التي ارسلت اليها حول الموضوع . وقد ورد في مقالة « بيس نيوز » : « ولكن ليست الليبرالية التونسية هي التي اصبحت موضع التساؤل فحسب ، ولكن نفاق العالم الامبريالي الذي يلتمع في عيوننا ايضا . كثيرة هي دموع التماسيح التي سالت في الغرب على سجناء بغداد ودمشق ، ومع هذا ، فقد بحثت عبثا في الصحف البريطانيه على كلمة واحدة عن مساجين بورقيبة » (٨) . ومن قلب اسرائيل ، قارنت ماتزبن ، من المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية رياء هذه الصرخة بالصمت حول تصرفات اسرائيل السيئة . « فأسلوب العقوبات الجماعية والعقاب بنسف البيوت في الاراضي المحتلة ، وما الى ذلك ، كل ذلك ، بالطبع وسائل حضارية متقدمة ! » (٩) .

---

(٨) ــ « بيس نيوز » ، ١٩٦٩/٣/٢١ .

(٩) ــ « ماتزبن » ، آذار (مارس) ١٩٦٩ .

وهنالك قضية اخرى واضحة يطبق عليها المعيار المزدوج ، وهي معالجة الصحف للغارات الجوية على القرى المدنية ولتدمير السيارات المسالمة واستخدام النابالم . ان القوات الجوية الاسرائيلية لا تزال تخرق الاجواء الاقليمية للاردن يوميا منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وتقصف السيارات العربية والقرى الآهلة بالسكان المدنيين ، كل ذلك لم يدفع السيد ويلسن لرفع صوته كما فعل عندما ذهب الى نيجيريه للعمل على الحد من نشاط قواتها الجوية العاملة ضمن الاراضي النيجيرية ضد فريق منشق من شعبها . ان العرب يجدون صعوبة في فهم الاحتجاج والاستنكار العالمي ضد استخدام الاميركيين للنابالم في فيتنام من جهة والصمت المطبق على استخدام الاسرائيليين للنابالم ضد الفلسطينيين ، رغم أن ما يقوم به الاسرائيليون قد تم التأكد من حصوله عن طريق ما تشاهده العين وتلتقطه آلات التصوير . ان الغارات الاسرائيلية على المدن العربية توصف ، عندما تصبح ممتوتة ، بأنها غلطة أو خطأ في التقدير او غير مقصودة او كما كانت الحال بالنسبة لمطار بيروت توصف بأنها « مغالاة في القتل » .

ان الموقف المعادي للعرب يستند الى « بعبعين » تم خلقهما بعناية على مر السنين ، الاول ، الناصرية كمفهوم يتميز « بوحشية دموية » ، واضطهاد « عسكري » ، وتزلم سياسي ، وتخريب شرير وراء عدم الاستقرار الذي يتميز به الشرق الاوسط ، أما الثاني ، فهو المخططات الشيوعية التي تزود الفدائيين والقوميين العرب المعادين للغرب بالاموال والاسلحة لتبقي حالة التوتر مستمرة وبذلك تعمل على القضاء على مواقع « العالم الحر » في المنطقة (١٠) . ان ما نقرأه غالبا عن الصواريخ والاسلحة « التي يقيمها الروس » عند الحديث عن هجمات الفدائيين هي خدمة لمثل هذين البعبعين .

---

(١٠) — يقدم ليلنتال قصة تصوير الصحافة الاميركية لعبد الناصر كعميل شيوعي في كتابه « الوجه الاخر للعملة » — بالانجليزية — ص ١١٤ — ١١٦ ، وان الفصل المتعلق بصحيفة نيويورك تايمز وغيرها جدير بالقراءة ، انه يشير الى التحيز الصحفي المعادي للعرب .

يعالج تقرير ميشال سليمان عناصر الموقف العربي كما هو وارد في الصحف الاميركية السبع خلال الفترة التي كان التقرير يكتب فيها . وهو يعطي التفصيلات التالية :

	عدد المرات الوارد ذكره
١ ــ اللاجئون العرب	٦٦
٢ ــ اهتمام العرب بالامن والسلام	٣
٣ ــ سوء معاملة الاسرائيليين للعرب	٥٨
٤ ــ الشعور العربي المناهض للغرب	٥٢
٥ ــ اتصالات مع السوفيات	١٦٣

قبل صفقة الاسلحة التي عقدها عبد الناصر مع تشيكوسلوفاكيه في سنة ١٩٥٥ ، كان الزعيمان « الاحمران » بالنسبة للصهيونية هما المفتي والمخططات النازية ، فقد صوّر فيلم «الخروج» المفبرك تاريخيا مجاهدي فلسطين في سنة ١٩٤٨ على أنهم « قوات العاصفة العربية » وأظهر منظر فيه ، الصليب المعقوف مع احد القتلى الفلسطينيين ، وذهب حاييم وايزمن الى درجة مقارنة ثورة ١٩٣٦ العربية في فلسطين كمثيل للحرب الاهلية التي قادها فرانكو في اسبانيه ، وكلاهما من صنع « المحور وأموال المحور » (١١) . اما الحقائق التي تكاد لا تذكر في اي مكان فهي : ان الوكالة اليهودية هي التي عقدت اتفاقية مع هتلر لتمويل الوطن القومي اليهودي من المانيه ، وان النازيين كانوا يتفاوضون مع الدول الكبرى ، وخاصة بريطانيه ، عن افضل الطرق لاقامة الوطن القومي لليهود ، وان جابوتنسكي فاوض حكومة موسوليني من أجل تزويد الصهيونيين بالاسلحة الايطالية ، وان الوكالة اليهودية اجرت محادثات سرية مع النازيين خلال الحرب من اجل تهجير عدد من اليهود الى فلسطين مقابل سيارات الشحن والاعتراف بمساعدة الوكالة اليهودية ، وقد تم كشف ذلك في محاكمة كاستنر الشهيرة ، في تصفية يهود اوروبه داخل غرف الغاز .

---

(١١) ــ وايزمن ، ص ٤٧٠ .

ان الخلفية الواقعية لهـــذه الاسطورة هي انكار وجود شيء يسمى بالفلسطيني ، واذا ما تحرك هذا الوجود واظهر نوعا مـــن الحياة ، فيمكن أن يعتبر ذلك على انه سحر عشيرة اخرى أو من عمل الارواح الشريرة وبتزايد جهود الاتحاد السوفياتي للتوصل الى حل سلمي للمشكلـــة بدات الصحف في التحدث عن اسطـــورة التنين الصيني الاحمر ان الحقيقة الوحيدة التي ترفض وسائـــل الاعلام الاعتراف بها هي ان زوال النازية ثم السوفياتية وتغيير أنظمة ومجيء اخرى في العالم العربي ، لم يغيِّر ثبـــات المقاومة للوجود الصهيوني على انها العنصر الراسخ جيدا في الساحة

وبسبب يأس الادباء والاساتذة العرب مـــن الوصول الـــى الجمهور الغربي جمعوا الاموال واشتروا اعلانات في « التايمز » و« الجارديان » تشجب فظائع اسرائيل في الاراضي المحتلة وقد رفعت شكـــاوى الى مجلس الصحافة ضد الاعلانـــات واستدعي المعلنون لمناقشة مدى صحة التهم الى ان أعلن رئيس تحـــرير « التايمز » ان لديه « قضية كافية الادلة »

وكان الرد على الوكلاء أن يرسلوا الوثائق الى لندن بالجـــو ليسندوا ادعاءاتهم ، ونتيجـــة لذلـــك رفض مجلس الصحافـــة الشكاوى (١٢) ولكن لم تظهر اية اعلانات للعرب منذ ذلك الوقت لمـــدة سنة تقريبا

في الذكرى الثانية « لحرب الايـــام الستة » نشر التحالـــف الانجلو ــ اردني اعلانا في « التايمز » فيه سطران من قصيدة شيلي « روزاليند وهيلين »

« لا تخف ، فحكم الظالمين لن يدوم للابد ،
وكذلـــك كهنـــة الديـــن الدمـــوي »

---

١٢) ــ جويش كرونيكل » ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ، التايمز ، ٨ كانون الاول ، الجارديان » ٩ كانون الاول ١٩٦٨

وقد أثار الاعلان الضجة المعتادة وبدات الرسائل تنهمر على الصحيفة تلفت انتباها خاصا الى تعبير « الديـــن الدموي » . وما حدث هو أن « التايمز » اعتذرت لعدم انتباهها لهذه النقطة دون أن تحاول شرح معاني كلمة « الـــدين » المختلفـــة ، وان المعلنين ، وبعضهم اعضاء في البرلمان ، لم يكن المعنى الديني في اذهانهم (١٣) . وجدير بالاهمية هنا مقارنة هـــذا الموقف بالاهانات والاكاذيب التي توجّه للاسلام والمسلمين والعرب على صفحات الكتب والمجـــلات والصحف دون أي رد أو اعتذار (١٤) .

ان الوجود الفعال للكوادر الصهيونية في الصحف والاذاعات ليس العامل الوحيد الذي يؤثر علـــى الصورة بكاملهـــا ، فالضغط الاقتصادي يحسب له حساب اكثر بالنسبة لاية صحيفة ، وليس للعرب اي وزن في هذه الساحة . وهذا يرجع الى انهم ليسوا معلنين أو حتى قراء . ان المجرى الوحيد الـــذي بامكانهم السيطرة عليه يكون من خلال وكلاء شركاتهم البترولية ، ولكـــن لم يبحث هـــذا الموضوع بعد . وان استخدام هـــذا السلاح في التأثير على الصحف ظهر مؤخرا في قضية « الجارديان » ، فقد كانت الصحيفة تعد ملحقا خاصا عن الشرق الاوسط في صيف ١٩٦٧ ، وقـــد جاءت « حرب الايام الستة » والقت الضوء أكثر على الموقف الليبرالي « للجارديان » كصحيفة لم تكن معمية عن حقيقة الوضع في الشرق الاوسط . وقد واصلت « الجويش كرونيكل » مهاجمتها في كل عدد تقريبا واستخدم ضغط من مستويات عالية لاسكاتهـــا ، وتلقت دائرة الاعلان فيها رسالة هاتفية تفيد بأن محـــلات « ماركس وسبنسر » التجاريـــة الكبرى لم تعد مهتمة بشراء الفسحة المحددة لاعلاناتها في الملحق ، وكل هذا اضطر « الجارديان » لالغاء الملحق بكل ما وضع فيه مـــن جهد . أما مايكل ادامز الذي كان قد أرسل أربع رسائل للصحيفة من الشرق الاوسط ، فلم ينجح في جعـــل رسالته الرابعة تنشر ، وعلاوة على ذلك ، استغنت الصحيفة عن خدماته (١٥) .

(١٣) ــ « التايمز » ، ٥ و١٩٦٩/٦/٧ .

(١٤) ــ قارن مثلا ص ٨ ــ ٩ ، ٢٤ .

(١٥) ــ معلومات خاصة للكاتب .

ان « نيويورك تايمز » التي عارضت تقسيم فلسطين تعرضت لمقاطعة اقتصادية فعلية لا تزال تفاصيلها مطوية في ملفات سرية محفوظة في حوزة رئيس تحريرها اليهودي المناهض للصهيونية ، السيد آرثر هايز سولزبيرجر الذي يفضل أن لا يتحدث عن « التجربة المرعبة » . ومع هذا ، فخلال تعرضه للاضطهاد ، تحدث وهاجم « الاساليب القسرية التي يتبعها الصهيونيون الذين لم يترددوا في بلادهم على استخدام الوسائل الاقتصادية لاخراس الاشخاص الذين يخالفونهم الرأي » (١٦) .

قال الفرد ليلنتال : « ان الضغوط الاقتصادية المفروضة من قبل المعلن اليهودي ، مضافا اليها صفة « اللاسامية » القاتلة التي يمكن أن يتعرض لها اي محرر يخرج عن الخط ، كفيلة بايجاد تعاون صحفي تام » (١٧) . وان صحة هذه الكلمات ظهرت في قصة بعيدة عن الصراع العربي ـــ الاسرائيلي . لقد قدم مشروع قانون حـــول ذبح الحيوانات الى مجلس العموم ، ولمشروع القانون هذا علاقة بالطقس الديني لذبح الحيوانـــات عند اليهود والمسلمين في المملكة المتحدة ، ولكن المجلس رفضه . وبعد هزيمة المشروع عممت جمعية الرفق بالحيوان رسالة على أعضائها تتعلق « بالضغط غير العادل الذي تعرض له النواب ومحررو الصحف » في ذلك الوقت . ان أي شيء لـــه علاقـــة بالحيوانات يحتل افضل الاعمـــدة في الصحف البريطانيه ، ولكن هذا القانون البرلماني تم تجاهله كليا عدا ذكره بعض مرات فقط ـــ وهذه حقيقة تنسف قصة الصحافة الديمقراطية التي تعكس آراء الشعب وأحاسيسه ـــ وقد صرح الامـــين العام للجمعية بما يلي : « عمليا لم تقم الصحافة الوطنية بأي شيء ، ولقد ابلغنـــا بأن الصحف لـــم تكـــن راغبة في أن تقـــوم بشيء يتعلق بالقضية » (١٨) . ان الفلسطينيين ، الذيـــن ليس عندهم جمعية للرفق بالحيوان ، لا يستطيعون ان يكونوا في وضع افضل .

---

(١٦) ـــ واردة في ليلنتال ، ثمن اسرائيل ـــ بالانجليزية ـــ ص ١٢٤ .

(١٧) ـــ ليلنتال ، ثمن اسرائيل ـــ بالانجليزية ـــ ص ١٢٣ .

(١٨) ـــ « جويش كرونيكل » ، ١٩٦٩/١/٢٤ .

ان الوضع ذاته يبرز بالنسبة للقراء . ان غالبية اليهود ينتمون الى الطبقة الوسطى ويشكلون قسما هاما من المستهلكين . لذلك ، فهم هدف للمعلنين أيضا ، وان الصحيفة التي يقراونها هي ذاتها التي يريدها المعلنون . وبمعرفتنا لمثل هذا الوضع ، فان بن عزاي لا بد أن يكون قد قام بدعوة غير مباشرة لمقاطعة « الجارديان » بعد تعليقها بأن المخاوف العربية من التوسع الاسرائيلي اثبتت صحتها . فقد كتب يقول : « لن أشتري « الجارديان » بعد اليوم » (١٩) .

ان مجلس تعزيز التفاهم العربي — البريطاني (كابو) لم يتمكن من الاتفاق مع مؤسسة جديرة للعلاقات العامة لتتولى شرح القضية العربية في المملكة المتحدة والدفاع عنها . وقد تم التوصل الى اتفاقية مؤقتة في سنة ١٩٦٨ ، بين (كابو) و« بيلي هاملتون بروموشنز » ، ووضعت الترتيبات لمباشرة العمل — ولكن المؤسسة انسحبت من الاتفاقية مراعاة لمصالحها الواسعة .

وقد تم تهديد مؤسسة مايكل رايس وشركاه التي تعمل لحساب دائرة العلاقات العامة في الدول العربية بنسف مكاتبها ، كما انه قد وصل الى اسماعهم ان محاولة فاشلة قد تمت لاقناع احد مموليهم بمقاطعة المؤسسة (٢٠) .

ان السيطرة المالية المباشرة على النشرات الهامشية موضوع آخر لم يعالج الا بشكل جزئي . ذلك انه عدا عن الصحف الناطقة باسم الحركة الصهيونية مباشرة مثل : « زيونست ريفيو » وخليفتها « جويش اوبزرفر اند ميدل ايست ريفيو »، و« زيونست ريكورد » ، و« الستاين » ، و« نيو جوديا » ، و« دي فيلت » ، و« جوديش رندشو » وعشرات المجلات في معظم البلدان ، فان هناك صحفا تسيطر عليها المنظمة الصهيونية العالمية عن طريق تمويلها سنويا ودفع مكافآت شخصية لرؤساء تحريرها . والمثال الكلاسيكي هنا هو « مراسلات الشرق » — بالفرنسيه — لنيفلينسكي — كما هو مذكور اعلاه . لقد القت تحقيقات لجنة فولبرايت ضوءا على الجانب

---

(١٩) — « جويش كرونيكل » ، ١٩٦٧/٩/١٥ .

(٢٠) — من مايكل رايس للكاتب .

المظلم من التأثير المفروض على بعض المجلات الاميركية المتخصصة بالشرق الاوسط ، فمثلا ، كان السيد شوادرون رئيس تحرير « ميدل ايست افيرز » ، يتلقى اربعة آلاف دولار شهريا من مصادر صهيونية . وقد ضغط رئيس لجنة مجلس الشيوخ على السيد هملن ، الشاهد الصهيوني ، ليشرح كيف ولماذا كان شوادرون يتسلم تلك الاعانة المالية . فتلقى الجواب الذي هو شبكة « متاهة الدوائر المتشابكة والمتضاربة »: «سيدي، الحقيقة هي ان طلب الدفع هذا تم من خلال المجلس الاميركي الصهيوني الذي بدوره تبرع لمؤسسة لويس رابينوفيتش التيكانت لها علاقة قوية مع. . .» (٢١).

ويظهر في حسابات المدير التنفيذي دفعة كل ثلاثة اشهر تقدر بخمسة آلاف دولار الى السيد ا.ل. كير صاحب « نير ايست ريبورت » وذلك « من اجل تقديم خدمات عامة » ، ولم يستطع الرئيس ان يحصل على جواب من السيد هملن ، من المجلس الاميركي الصهيوني ، حول نوعية هذه الخدمات المقدمة . قال : « كلا يا سيدي ، فانني لم اكن ادري فيما اذا كانت تلك الدفعات بدل اشتراك في النشرة او مقابل نوع معين من الخدمات العامة » (٢٢). وان بيانا اعده المجلس الاميركي الصهيوني ذكر بأنه لم يتم تقديم دفعات مباشرة خلال المجلس لرئيس تحرير « نير ايست ريبورت » من قبل الوكالة اليهودية ــ فرع اميركه المتحد ، لكن بطلب من فرع اميركه المتحد للوكالة اليهودية ، وضع فرع اسرائيل المتحد للوكالة اليهودية في متناول المجلس الاميركي الصهيوني مبلغا سنويا قدره ٣٨ ألف دولار لحساب فرع اميركه المتحد للوكالة اليهودية على ان تدفع كاعانة مالية لرئيس التحرير . وقد قال رئيس لجنة مجلس الشيوخ : « بكل صدق ، يا سيد هملن ، اقول بأنه من الصعب جدا عليّ تتبع هذا ... اود ان اسألك لماذا لم تدفع مبلغ الـ ٣٨ الف دولار مباشرة للسيد كينين ؟ لماذا تذكر كل هذا الهراء ؟... اذا كان باستطاعتك توضيح هذا التحقيق فانني اعتبرك من أذكى العباقرة الذين قابلتهم في مختلف البلدان ... » .

(٢١) ــ استجوابات اشرفت عليها لجنة مجلس الشيوخ الاميركي ، ص ١٣١٤ .

(٢٢) ــ المصدر نفسه ، ص ١٢٥٢ .

(٧)

تهديد وترغيب

مع كل ما تقدم ان شكلا اخر من الضغط الاقتصادي يستخدم ضد المعاهد الاكاديمية ومراكز الابحاث في أميركه التي تعتمد كثيرا في التمويل التجاري وغير الحكومي ، على عدد من المنظمات مثل مؤسسة هرتزل ، ومجلس شؤون الشرق الاوسط ، والاتحاد الاميركي للدراسات الشرق أوسطية ، واللجنة الاميركية المسيحية لفلسطين ، واللجنة الجامعية لاسرائيل ، ومؤسسة هلّيل ، والمؤسسة الثقافية العبرية ، واخيرا ، وبعد حرب الايام الستة ، اساتذة الجامعات الاميركيين من أجل السلام في الشرق الاوسط . ان هذه المنظمات تقدم منحا للجامعات وللابحاث وتنظم حلقات دراسية حول الشرق الاوسط .

ووراء الواجهات التنظيمية هذه تقف المنظمة الصهيونية العالمية بمواردها الهائلة . فميزانية دائرة الاعلام والعلاقات العامة للعام ١٩٦١/١٩٦٢ بلغت ٣٢٨٥٥٠ دولارا بما في ذلك ٧٢٧٠٠ دولار لمكتب الرئيس ، و ٦٥٢٠٠ دولار للابحاث والخدمات الصحفية ، و ٦٧٠٠٠ دولار للدراسات الشرق أوسطية و ٥٣٠٠٠ دولار للنشرات الدورية والاشرطة السينمائية والتلفزيونية والاذاعية . وبالاضافة لهذا ، تلقت مؤسسة هرتزل مبلغ ٢١١٣٢٦ دولارا ، ودائرة الشباب ٣٠٦٦١٠ دولارات ، ودائرة التربية والثقافة ١٦١٦٧٥ دولارا ، ومجلس شؤون الشرق الاوسط ٢٣٠٠٠ دولار للعام (١٩٦٠/١٩٦١) . وتمول الحكومة الاسرائيلية بعضا منها مباشرة . فمثلا ، تلقت الوكالة اليهودية ما بين ١٠٠٠٠ دولار و ١٥٠٠٠ دولار

فقط لارسال « اسرائيل دايجست » بالبريد للاسماء التي تقدمها القنصلية الاسرائيلية . ووراء المخصصات الرسمية توجد مصادر اكبر لافراد يعطفون على الصهيونية مثل آل روتشيلد وآل وولفسون ، الخ .

ان الضغط المالي العام لا يطبق في عملية الدعاية الشرعية لخلق صورة افضل لاسرائيل والصهيونية فحسب بل لكبت الصوت العربي في الولايات المتحدة . والاسلوب المستخدم تجاه الهدف الثاني ومن اجل اخراس منتقدي الصهيونية في الجامعات يكون بسحب « الاعانات المالية من المعاهد الثقافية » (١) . ولقد حدد تقرير لجنة مجلس الشيوخ بعض الجامعات التي تتلقى اعانات مالية مثل كولومبيه وهارفرد وبنسلفانيه وجون هوبكنز ووسكونسن . والكاتب اليهودي نفسه يستطرد فيقول :

« لقد ابلغني رئيس الجامعة مؤخرا بأن القنصل العام الاسرائيلي جاء اليه ليحتج ضد معرض فني تقيمه رابطة الطلبة العرب في الجامعة . وبدون أن يشاهد المعرض ، هدد الرئيس بسحب التبرعات ، واعتبر المعرض « اهانة للطلبة اليهود » . ولقد رفض الرئيس السماح لي بذكر اسمه خوفا من ان يخسر التبرعات » (٢) .

ان النشاطات بين الاكليروس تتم من خلال منظمة ذات اسم بريء وهي « اللجنة الاميركية المسيحية لفلسطين » . وهذه اللجنة ، مثل غيرها من الواجهات التنظيمية ، تصدر نشرة الانباء الخاصة بها وتنظم رحلات ترفيهية الى اسرائيل للشخصيات التي يمكن ان تكون ذات فائدة . تتحدث التقارير الشهرية لهذه اللجنة عن مذكرة ارسلت الى زعمائها في جميع انحاء البلاد للرد على أية كتابات

---

(١) ــ التأثير الصهيوني على التعليم العالي في اميركه ، بقلم باوم ، ب. هـ. ، المنشور في « قضايا » ــ بالانجليزية ــ خريف ١٩٦٥ .
(٢) ــ المصدر نفسه .

عربية ينشرها المجلس الوطني للكنائس ، وتوزيع مقالة عن الرق في السعودية بين الزنوج

والتقارير تكشف مصادر هذه المقالات المعادية للعرب والتي غالبا ما تظهر في الصحف الغربية

« اننا الان في صدد كتابة مقالة حول مشكلة الملونين والرق في البلاد العربية ، ونأمل ان تنشر هذه المقالة في صحيفة زنجية بارزة هي وقد أعدت النسخة الاساسية من قبل ممثل المؤتمر الاميركي اليهودي في أوروبه الذي يقيم في » (٣)

ومن بين العناصر السوقية للدعاية لهذه المنظمة اليهودية الصهيونية صلاة خاصة من أجل اسرائيل أعدها المسيحيون الاميركيون

ان الضغط الاقتصادي على الافراد أكثر شيوعا مع ان فرضه اقل سهولة وبكل بساطة ، يجد الكاتب أو المعلق ان كتاباته « ليس لها لزوم » ، او انها اصبحت غير مقبولة أو مثار جدل او متحيزة . ولقد واجه معظم المدافعين عن القضية العربية صعوبة في تأمين معيشتهم ، ولم يكن ذلك مقتصرا على الاغيار منهم فحسب ، فقد روى السيد منوحين ان نصف الحاخاميين الذين اشرفوا في الاساس على المجلس الاميركي لليهودية انسحبوا بعد شهر واحد فقط من تأسيسه بسبب « الضغط العنيف » الذي تعرضوا له (٤)
كثيرا ما يقابل المرء بعض اليهود الذين يعبرون ، في احاديثهم الخاصة ، عن تخوفهم من المنظمة الصهيونية العالمية ولكن لا يجرؤون على الامتناع عن مآدبها التي تقام لجمع الاموال ان البيان المشترك الذي نشر في « التايمز » في ١٩٦٧/٦/٨ على شكل اعلان وصدر عن المنظمة الاسرائيلية الاشتراكية والجبهة الديمقراطية الفلسطينية موّله يهودي مناهض للصهيونية كان همه الاول اخفاء اسمه لكي تبقى شخصيته مجهولة لدى الجالية اليهودية ، وكان

---

(٣) — تقرير لجنة مجلس الشيوخ الاميركي

(٤) — منوحين ، ص ٣٥٤

المبلغ الذي قدر بعدة مئات من الجنيهات قد قدم نقـــدا وعدا . ولقد تعرض معظم افراد المنظمة الاسرائيلية الاشتراكية (ماتزبين) للتمييز والاضطهاد مما دفعهم الى مغادرة اسرائيل ، كما ان موقعي نداء « يجب أن يتوقف كبت حقوق الانسان في اسرائيل والاراضي المحتلة » والذي هرّب الى خارج اسرائيل ونشر في « اللوموند » و« البرافدا » ، تعرضوا لضغط شديد . وقد اضطر ثلاثة اشخاص بما فيهم النحات اسحق دانتزيجر الى الانسحاب ، وكذلك فان ايلان شليف ، عضو كيبوتز نجباه خيِّر بين ترك الكيبوتز او عـــدم تعاطي السياسة . وفي الحقيقة فقد افلس ماديا بعد ذلك (٥) . وايضا ، تم طرد الدكتور ميشال ليفي ، الاستاذ المحاضر في العلوم الاجتماعية في جامعة تل ابيب وذلك لانتقاده الفظائع التي ترتكـب بحق الفلسطينيين ، وقد ذكر مراسل « جويش كرونيكل » ان الطرد كان « نتيجـــة لضغط المســـاهمين الاميركيـــين في رأس مـــال الجامعة » (٦) .

ان الضغط الاقتصادي لخنق القضية الفلسطينية هو الاسلوب الطبيعي المطبق داخل اسرائيل ، التي يسميها ميشال سالزر أكثر دولة مباحثية متحررة في العالم . وان هذا ممكن وفعال جدا بسبب التركيب المصطنع لاسرائيل . ان جميع الصحف الكبرى تعتمد في تمويلها على الاحزاب السياسية التي تنطق باسمها ، والتي بدورها تمول من المنظمة الصهيونية . لذلك فالحكومة الاسرائيلية والمنظمة الصهيونية تمسكان بالخيوط التي تربط هذه الصحف ، ويسمح لهذه الصحف بمعالجة اي موضوع وبتحطيم أي شخصية عامة وحتى كشف أي سر عسكري شرط ان لا تلمس قضيـــة الفلسطينيين التي لا يمكن التسامح بشأنها . وذلك يظهر من قول فوزي الاسمر بأن الصحف تغـــير حتـــى الاشعـــار العربيـــة مع ان الرقيـــب نفسه يكون قـــد سمح بهـــا (٧) . وعـــادة يتم اسكات العناصر

(٥) ــ « اسرائيل امبريال نيـــوز » ، تشرين الاول (اكتـــوبر) ١٩٦٨ ، وكان النـــداء الأصلي قد قدم للصحف الاسرائيلية كاعلان الا انه لم ينشر .

(٦) ــ « جويش كرونيكل » ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ .

(٧) ــ اسراك ، ٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ ، انظر سالزر ايضا .

المتمردة أولا عن طريق رشوتهم بوظائف ممتازة وامتيازات رفيعة ثم بتهديدهم بالسحق اذا ما تجرأوا على فتح أفواههم . وقد تم شراء عدد من العرب واليهود الشرقيين بهذا الاسلوب . ان الشاب الفلسطيني نفسه ، أي الاسمر ، يتحدث عن هذا الضغط بقوله :

« عندما يدعى أي عربي نجح في الحصول على وظيفة في مؤسسة عامة ــ بعد ان يصمم على عدم التعبير عن ارائه السياسية ــ للقيام بمهمة رسمية ، مثلا ، لحفلة استقبال بمناسبة « عيد استقلال اسرائيل » عليه ان يستمع الى خطابات كثيرة تصف الحالة الممتازة للعرب الذين يعيشون في اسرائيل . والعربي الذي كان قد صمم على الصمت من اجل عمله يتعرض لضغط للتخلي عنه ، انهم يضطرونه للاشتراك في مدح اعمال اسرائيل والا فانهم يسألونه عن سبب عدم مجيئه ، وبذلك يخاطر في أن يطرد من عمله اذا لم يكن له مهرب مناسب . وما ان يشترك حتى تذكر الصحف في اليوم التالي بأن كثيرا من الاعيان العرب كانوا على اتفاق تام مع الخطاب . ومع هذا فهم لا يزالون يتحدثون عن الديمقراطية في تلك البلاد . بلى ، يا صديقي اليهودي ، انني استطيع ان اقول ما اريده ، ولكنهم بدورهم يستطيعون ان يفعلوا ما يشاؤون » (٨) .

وما يقومون به ضد اولئك الذين يرفضون أن يمسكوا السنتهم عن الحديث ، يظهر بأنه فيه تساهل لكنه مخطط له بدقة لكي لا ينتهك حرمة الحاجز الصحفي . فيبقون السجن والمحاكمات عند أقل حد ممكن ، ولكن فرض الاقامة الجبرية ورفض منح اذونات سفر (على العرب في اسرائيل ان يحصلوا على هذه الاذونات ليتمكنوا من زيارة معظم المدن والقرى الفلسطينية) . والتمييز في المعاملات ، كل ذلك من شأنه ان يضطر المتمسكين بمواقفهم بعناد لان يغادروا البلاد . ولا تعطي الصحف العبرية سوى اخبارا قليلة عن هذا الموضوع ، ولكن صحيفة « الاتحاد » تكون عادة ملأى بالقصص اليومية عما يؤثر على حياة وحرية المثقفين العرب والمعادين للصهيونية .

---

(٨) ــ اسراك ، ايار (مايو) ١٩٦٩ ، انظر سالزر ايضا .

لقد تغاضى الصهيونيون عن اولئك الذين كانوا ينضمون للعمل الفدائي في ايامه الاولى أو كانوا يرسلون له التبرعات . ان رد فعلهم تجاه تسلح الدول العربية يكون الى حد رد فعل عادي ، ولا تسيطر عليهم الهستيريا الا عندما يشعرون ان سيطرتهم على الرأي العام بات مهددا . وفي هذه الحالة ، لا يحجمون عن ارتكاب اي شيء بصرف النظر عن لا اخلاقيته وذلك لكسر كل يد ترتفع في وجههم . وعندما يفشل التهديد والترغيب يتولى الارهابيون المهمة . وقد كان معظم أبطال القضية العربية يقضون ليالي طويلة وقلقة بعد تلقيهم رسائل التهديد ، وبعض هذه الحوادث وارد في سجلات الشرطة . وبعد نشر كتاب « الطريق الى بئر السبع » تلقت اثيل مانين ، بين أشياء اخرى ، رسالة من « رجال شرطة الحدود » في اسرائيل ينذرونها فيها بأنه اذا ما وطئت قدمها « أرضهم » فلن يتولى مهمة قتلها سواهم . وقد أرادت الانسة مانين ان ترفع الرسالة الى السفارة الاسرائيلية في لندن ولكن بعد المشاورات علمت بأن الصمت أفضل (٩) . كذلك فان ارسكين نشلدرز كان يراقب خطاه اينما حل لدرجة ان بعض اصدقائه ظنوا بأن اختفاءه ، بعد « حرب الايام الستة » كان من عمل الارهابيين الصهيونيين .

ان الهجوم على الاجتماعات والتجمعات المناصرة للعرب ليست نادرة أيضا . فمرة ضرب أحد الخطباء الباكستانيين ، هو وعدد من الطلبة العراقيين من مستمعيه في ساحة الخطباء في هايد بارك في لندن بعد عدوان حزيران (يونيو) . ولم تنشر الصحف شيئا عن الحادث باعتبار انه غير جدير بذلك . كذلك عطل اجتماع الطلبة في « كونواي هول » بهجوم مماثل ، والحقيقة ان شرطة المنطقة كانت قد نصحت الطلبة العرب خلال تلك الفترة بعدم القيام بأية تظاهرات او اجتماعات ، مما اضطر الطلبة لالغاء مسيرتهم المقررة . وبعد عدة اشهر ، وعندما نظم الطلبة العرب تظاهرتهم تحت حراسة الشرطة المكثفة ، قام « الزعران » بالهجوم على التظاهرة وهم يصرخون « اقتلوا العرب » . ان التجمع الذي عقد

---

(٩) ـــ ان المؤلف مدين للآنسة مانين لارسالها له المعلومات المذكورة اعلاه .

في ميدان الطرف الاغر بلندن اثناء اسبوع فلسطين استمر انعقاده ومجموعة من الصهيونيين يرقصون رقصة « الحورا » امام المتكلمين وهـم يرددون « نحـن ربحنـا الحرب » (نحن : تعني اليهـود البريطانيين) وطبعا ان بريطانيه من اقل البلدان التي تناسب العمليات الارهابية ، ولكنها تعطي فكرة عما يحدث في مدينة مثل نيويورك ، لقد اصبحت المصادمات العربية ــ الصهيونية من صفات الحياة الاكاديمية في عدد من الجامعات . وفي جميع هذه الحوادث والاضطرابات يكون الصهيونيون هم الذي يتحركون ويعارضون اية مبادرة باسم فلسطين ، معرضا كانت أو مقالة او محاضرة ان رابطة الطلبة العرب في جامعة ريدنج منعت من تقديم أية محاضرة عن فلسطين

والمعارضة الصهيونية مسؤولـة عن الصمت المطبـق الذي احاط السفير يارنج به مهمته كمبعوث للامم المتحدة كان سلفه ومواطنه ، الكونت برنادوت ، أقل صمتا لقد أغضبت ملاحظات برنادوت النقدية الاسرائيليين اكثر من خطته التي لم تر النور بأي حال من الاحوال بسبب تعرض الارهابيين الصهيونيين لسيارته وقتله برصاصة في فمه . لقد كان موته حلقة جديدة في سلسلة من عمليات القتل والارهاب كانت قد بدأت منذ الثلاثينات

ان الارهاب الاقل عنفا يتخذ شكل حرب بسيكولوجية تصنف الذين يعطفون على العرب انهم محبون للظهور ، ومهووسون ، ومضطربون عقليا ومرتدون (اذا كانوا يهودا) ، ومحبون للعرب (كما يقال محب للعبيد) وما الى ذلك من الالقاب . ان الحياة الخاصة للاسرائيليين المناهضين للصهيونية مثل سيمون تزابار ، تفضح علنا وتشوه على صفحات جرائد تل ابيب ، وتكون تهمة اللاسامية على رأس القائمة التي يضعها المبتزون معنويا ، وهذا الموضوع يستحق فصلا خاصا به

(٨)

مناهضة السامية كوسيلة للابتزاز

لقد قامت اسرائيل في فلسطين العربية بعد مجزرة رهيبة تعرض لها اليهود الاوروبيون ، وقد صعقت في وحشيتها جميع قوى الخير في العالم لدرجة ان الشعور بالاثم تسلل الى روح كل انسان متحضر مشبع بتراث العالم الغربي . واصبح رجال الفكر والادب متخوفين من اي شيء يمكن ان يجرح شعور ضحايا تلك المجزرة . والصهيونيون ، الذين يعرفون كيفية استغلال اية فرصة ، استفادوا من هذا التخوف لخدمة جهازهم الخاص ، فاعتبرت مناهضة السامية ، من قبل اليهود والاغيار ، الصهيونيين والمناهضين للصهيونية ، افضل حليف للقومية اليهودية ، ولم تكن هذه الحقيقة موضع جدل بالنسبة لاي زعيم صهيوني مع ان بعضهم قدموا لها خدمات طفيفة وحتى استنكروها . وذكر تيودور هرتزل ان مناهضي السامية هم العملاء الذين سيهتمون بمصالح وممتلكات اليهود بعد هجرة هؤلاء الى فلسطين ، وكتب الى الكونت دي هيرش يقول : « سيصبح مناهضو السامية اهم اصدقائنا الذين يمكن ان نعتمد عليهم ، والبلاد اللاسامية ستكون حليفتنا » (١) .

ومع هذا فقد استخدم الصهيونيون مناهضة السامية بشكل فعال لدرجة ان صرخة مناهضة السامية اصبحت الشبح الذي يسيطر على عقول السياسيين العقلاء او الكتّاب الذين جراوا على رفع صوتهم او الاعراب عن شكوكهم بصحة اقوال الوكالة اليهودية ،

---

(١) ــ هرتزل ، المجلد الاول ، ص ٨٤ ــ بالانجليزية .

وهذا هو السبب الذي يجعل المنظمة الصهيونية العالمية تبقي ذكريات معسكرات الاعتقال النازية حية ملتهبة تقول ماتزبن ، المنظمة الاسرائيلية الاشتراكية :

« يغلف العلاقة ما بين الصهيونية ومناهضة السامية ستار دخان من العاطفية التي تردع كثيرا من الناس ، بما في ذلك اليهود ، من اثارة شكاواهم من الصهيونيين وعدم الرغبة هذا معروف جيدا لدى رجال العلاقات العامة الصهيونيين الذين يتمسكون بها جيدا ويعزفون على وترها بشكل متواصل ، وغالبا ما يصعب تمييز هذا العزف عن الابتزاز العاطفي (٢)

هذا هو السبب الذي اعتقل ايخمان من أجله وطالت محاكمته وبولغ فيها كثيرا ، كما ان هذا هو التبرير الذي يقدم للاموال الطائلة التي تنفق لاصطياد مجرمي الحرب النازيين ويستمر الصهيونيون في الطواف حول العالم يعرضون الاثار والكتابات والصور والاشرطة عن معسكرات الاعتقال وافران الغاز لجذب الاجيال الشابة من اليهود

لا شيء اسهل من كسب عاطفة الجمهور اكثر من تصوير معارضة ما بصورة مناهضة السامية المقرفة وقد اصبح التعبير ماركة مسجلة ــ كما هو الحال في الاعلانات التجارية ــ يستحق الاهتمام الكثير كما انه يجب ان لا يتغير ابدا والموضوع يمكن بكل بساطة ان يكون مناهضة للاسرائيلية ، وللصهيونية ، ولليهودية ، ومع هذا يجب ان يقال في جميع الحالات بأنه مناهضة للسامية فالعرب الذين يعتبرون اقرب الى السامية من يهود أميركه يتهمون بأنهم مناهضون للسامية وقد لفت ادوار عطية وغيره من الصحفيين العرب الانتباه الى هذا التناقض ولكن جهودهم كانت بلا جدوى لان تعبير مناهضة السامية ليس اكثر من التعبير التجاري

---

(٢) ــ اسرائيل الاخرى » ــ بالانجليزية ــ ماتزبن ، تل ابيب ، تموز (يوليو) ١٩٦٨

لـــ « كوكاكولا » أو « نسكافه ». هذا وان كثيرا من اليهود المناهضين للصهيونية اتهموا بمناهضة السامية بسبب دفاعهم عن القضية العربية .

ولقد نجح مديرو الدعاية الصهيونية في تثبيت هذه القاعدة : بأن مناهضة السامية ومناهضة اليهودية ومناهضة الصهيونيـــة ليست سوى اسماء مختلفة لمسمى واحد . وكانت النتيجة مثيرة . ففي دولة الحادية كالاتحاد السوفياتي حيث الدين عادة عرضة للهجوم الماركسي ، وحيث تعرضت الكنيســـة الارثوذكسيـــة دون رأفـــة لهجمـــات الكتّاب الناشئين ، تمـــت مصادرة كتـــاب « اليهودية بلا قناع » بقلم كيشكو واصدار اكاديمية العلوم في اوكرانيه ، من الاسواق ، من قبل السلطات عندما طبقت بنجاح القاعدة التي مفادها ان مناهضة الدين هي مناهضة السامية . ومن ناحية اخرى ، اتهم اعضاء المجلس الاميركي لليهودية باللاسامية (٣) بسبب انتقاداتهم للصهيونية واسرائيل رغم ان اهتمامهم الرئيسي منصب على القيم الدينية اليهودية .

ان الاستخدام العملي الواضح لتهمة مناهضة السامية في ابتزاز الصحفيين والشخصيات العامة يمكن ان يظهر عندما نتذكر ان الاشخاص الذين اعترفوا انهم مناهضون للسامية من امثـــال الكولونيل ماينر تزهاجن وريتشارد كروسمان وغيرهما ممن اظهروا معاداة للسامية في مختلف الاوقات مثل بلفور ولويد جورج والسير مارك سايكس لم يتلقوا شيئا سوى الثناء الرفيع من الصهيونيين لمجرد انهم أيدوا قيام الوطن القومي اليهودي . حتى ان هرتزل قال عن الكونت بليف ، وزير الداخلية القيصري ، كلمات رقيقة هي : « انسان طيب وعظيم » (٤) ، رغم كون بليف الجزار الذي ذبح الجماهير اليهودية وكان المحرض على مذبحة كيشينيف . وقد حدث ان بعث بليف برسالة الى المؤتمر الصهيوني يعد فيها ببذل جهوده لمساعدة الحركة الصهيونية ، ويقف في الكفة الاخرى من الميزان

---

(٣) ــ « نيويورك تايمز » ، ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

(٤) ــ هرتزل ، المجلد الرابع ، ص ١٥٢٥ .

اولئك الاشخاص الذين لم يظهروا أي نوع من مناهضة السامية مثل السيد جورج براون ، الزعيم العمالي ، ومع هذا فقد اتهموا بمناهضة السامية حالما وضعوا العراقيل في الدولاب الاسرائيلي . كذلك ألصقت ببولنده تهمة مناهضة السامية رغم انها متحررة اكثر من رومانيه التي لم يوجه لها اي انتقاد بالمرة ، بل بالعكس ، كيل الثناء لسياستها في الصحف الاسرائيلية فقد كانت هي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي أيدت اسرائيل بعد « حرب الايام الستة » .

ودراسة لعدد من ضحايا الصرخة الصهيونية في مناهضة السامية يمكن ان تلقي ضوءا على الهدف الواضح من هذا الاجراء . وتضم قائمة الضحايا : جيمس فورستال ، ايرنست بيفن ، الكونت برنادوت ، الجنرال ديجول ، جورج براون ، كريستوفر ميهيو ومعظم زعماء دول اوروبه الشرقية (باستثناء رومانيه) .

لقد كان لجيمس فورستال ، وزير الدفاع الاميركي الاسبق ، علاقة وثيقة بالمصالح البترولية والامبريالية للولايات المتحدة ، وكان يتأثر في ارائه بقيادة سلاح البحرية والاركان العامة الذين كانوا يعتبرون العالم العربي حلقة حيوية يجب عدم التفريط بها . وكان وضعه كأي وزير دفاع اخر ، عليه ان يبت بأية قضية وفقا لمصالح بلاده واراء ابنائها وليس وفقا لاراء واهداف دولة اجنبية او قوة ضاغطة ، لذلك حاول أن « يسحب قضية فلسطين خارج السياسة الحزبية الاميركية » (٥) . وقد ادى به ذلك الى التصادم مع الاستراتيجية الصهيونية التي تهدف تأمين التأييد للدولة اليهودية بجعلها قضية انتخابية . وبشكل تلقائي ، اصبح فورستال عرضة لتهمة مناهضة السامية . ويظهر ان الصهيونيين ارادوه ان يكون عبرة للاخرين فشنوا عليه اشنع حملة لاغتيال الشخصية ، وجعلوا مصورين اثنين يلازمانه الى حيث كان يذهب ، وقد كشف ذلك افراد الشرطة بعد اعتقالهما . وبالاضافة لذلك ، فقد تم فضح حياته الخاصة مما ساهم في تزايد انهياره النفسي (٦) .

---

(٥) ــ يوميات فورستال ــ بالانجليزية ــ لندن ، ١٩٥٢ ص ٣٢٧ .

(٦) ــ روجو ، أ. أ. ، « ضحية الواجب » ــ بالانجليزية . لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٢ .

وخلال تعرض فورستال لهذا الضغط ، زاره جيمس مكدونالد ، السفير الاميركي ، اللايهودي والمناصر للصهيونية بسبب معرفته السابقة به ، وقد كتب مكدونالد الملاحظات التالية عن تلك الزيارة :

« لم يكن (فورستال) مناهضا للسامية او للاسرائيلية بأي شكل من الاشكال . . . انني واثق من انه كان مقتنعا بأن التقسيم لم يكن لصالح الولايات المتحدة . وبكل تأكيد ، لم يكن يستحق تلك الهجمات الحاقدة والمتواصلة التي ادت الى انهياره جسديا وعقليا . وبالعكس ، فان هذه الهجمات تظهر كأبشع مثل حول رغبة السياسيين والصحفيين لاستخدام ادنى الوسائل باسم الشعور الوطني — للقضاء على الموظفين العامين المخلصين والناكري ذواتهم » (٧) .

ورغما عن هذا ، أستطرد كاتب سيرته يقول : « كان فورستال ضحية واحدة من أكبر قضايا قتل الزعماء في تاريخ السياسة الاميركية » (٨) . واخيرا ، أجبر على الاستقالة وانتحر بعد ذلك .

وكان السيد ايرنست بيفن وزير خارجية حكومة اتلي (العمالية في بريطانيه) ضحية أخرى من ضحاياهم . وكالسيد فورستال ، دفع الى مناهضة الصهيونية ليس بسبب عداوة شخصية لليهود واليهودية بل بسبب المصالح الامبريالية لبلاده . يقول كاتب سيرته (٩) ، انه كان ينظر الى الشرق الاوسط كمنطقة يسكنها العرب ولا يمكن أن تفرض عليهم دولة يهودية . ومصالح بريطانيه تكمن بين أيدي ملايين العرب الذين يسيطرون على هذه المنطقة الحيوية بكل ثرواتها البترولية وليس بين أيدي اقلية يهودية تسيطر على بضعة الاف من الاميال المربعة . وقد ادى به ذلك الى ان يلصقوا به تهمة مناهضة السامية رغم تاريخه الطويل في حزب العمال وحركة النقابات العمالية البريطانية والمعروف بصداقته

---

(٧)— مكدونالد ، ص ١٢ .

(٨) — روجو ، ص ٢٧٦ .

(٩) — فرانسيس ، و . ، ايرنست بيفن ، لندن ، ١٩٥٢ — بالانجليزية .

للجالية اليهودية وتأييده للمطامح الصهيونية .

والاسخف من ذلك هي تهمة مناهضة السامية التي الصقت بجورج براون ، المتزوج من يهودية وله صداقات طيبة مع عدد من اليهود والاسرائيليين . وقد تسبب ايضا في مشكلة ديبلوماسية باصراره على ان يصافح احد الديبلوماسيين المصريين ديبلوماسيا اسرائيليا من أصدقائه هو ـ اي براون ـ عندما كان الاثنان في ضيافته . ويظهر بأن وزير الخارجية السابق اللامع تعلم درسا من اسلافه قادة حزب العمال فأحجم عن التفوه بأي انتقاد لاسرائيل والصهيونية والجالية اليهودية . وخلال الاشهر القاسية التي كانت فيها بريطانيه بحاجة للاسواق العربية والبترول العربي ، كانت كل جريمة براون تأكيده بأن للعرب وجهة نظر تستحق الاستماع اليها . وكان ذلك كافيا لكي يتهمه الصهيونيون بالسير على خطى مناهضة السامية التي سار عليها ايرنست بيفن من قبل . ولكن خوفه ورزانته بالنسبة للقضية فوت على الصهيونيين فرصة استغلال تصريحاته ضده . ومع هذا ، فقد اكتشفت الصحف ثغرة أخرى في شخصيته هي : حماقاته البريئة وادمانه على الشرب . فأصبح جورج براون شخصية الفضائح والسخرية ، لذلك يجب ان لا يبقى في منصبه . ونصح السيد عمانوئيل شنويل (الزعيم العمالي اليهودي) تعيينه في مركز في أحد المصانع .

اما الجنرال ديجول فهو اخر ضحية . وقد وصفت « الجويش كرونيكل » علاقته مع اليهود « كقصة غرامية » « وكعلاقة في منتهى الاستقامة وحتى العطف والتفاهم الصادقين » . وكان الجنرال طوال سني حياته يساعد اليهود وكان اليهود ينضوون تحت رايته ، ولكنه اصبح هدفا لتهمة مناهضة السامية لمساعدته العرب بعد « حرب الايام الستة » ، ويستشهد بخطابه في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ الذي يشير فيه الى « النخبة المستبدة » كدليل على ذلك . ومع هذا ، فان اي مطّلع على السياسة الفرنسية يعرف ان الجنرال كان يثير غضب الصهيونيين قبل ذلك بكثير . وفي الحقيقة ، فان «الجويش كرونيكل» تقول في العدد ذاته بأن فقدان الود بين ديجول

وبين اليهود يعود الى اليوم الذي فيه منح الجزائر استقلالها (١٠) .
ومما يجدر ملاحظته هنا ، هو ان الصرخة ضد ديجـــول لم تسمع مباشرة بعد مؤتمره الصحفي في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ عندما هاجم غطرسة اسرائيل ، وحب السيطرة عند الاسرائيليين ، ولكن بعد التقارير التي ذكرت انه سيزود العرب بالاسلحة وسيستمر في حظره ارسال الاسلحة الى اسرائيل . ففـــي ١٢ كانون الاول (ديسمبر) اعرب السناتور جافيتس عن أسفه لهجوم ديجول على « الشعب اليهودي بشكل عام » وطالب حكومة الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بطائرات فانتوم ردا على ذلك .

ونبش الصهيونيون ماضي الكونت برنادوت ليثبتوا مناهضته للسامية ، فأعلنوا للعالم اجمع بأنه كان يتعاون مع النازيين خلال الحرب حول الحل النهائي . ولكن التحقيقات التي أجريت فيما بعد كشفت ان الارستقراطي السويدي كان يعمل مع الصليب الاحمـــر خلال الحرب ، وعمله اضطره للاتصال بالالمان من اجل انقاذ اعداد مختلفة من اليهود بدلا من تصفيتهم . ان القراء بشكل عام لا يهتمون بالتفاصيل التاريخية ، وهذا سهّل على الصحفيين التجني على رجال لهم سجل عنصري مثل سجل برنادوت .

والتهمة ضد زعماء البلدان الاشتراكية هي نوع اخر مـــن البراجماتية من أجل الضغط على هذه الحكومات لتمنح اليهود ما لم تمنحهلرعاياها الاخرين ، اي حق الهجرة والسفر الى الخارج اينما شاءوا . ويتم ذلك رغم ان هذه القضية تعتبر خاسرة بالنسبـــة للصهيونيين . ليس باستطاعـــة أي شيوعي ان يصبح مناهضـــا للسامية بوجود هذا العدد الضخم من المؤلفات الشيوعية الكلاسيكية التي كتبها يهود ، وبكون عدد كبيـــر من افراد حزبه مـــن اصل يهودي . ففي بولنده ، كان حوالي ربع عدد أعضاء الحزب الشيوعي قبل الحرب من اليهود ، وهذا ما دفع اندريه فيربلان ، عضو اللجنة المركزية ، ان يعتبر ان الانحرافات التي حدثت بعد الحرب ترجع

---

(١٠) ــ « جويش كرونيكل » ، ٢ أيار (مايو) ١٩٦٩ .

الى تغلب ممثلي اقلية في الحزب . وقد استنكر جومولكه وغيره من زعماء الحزب مقالة اندريه (١١) ، ومع هذا فان زعماء حزب العمال البولندي المتحد هم الذين تعرضوا لابشع حملة تحطيم من قبل الصهيونية التي كانت تستشهد بمقالة فيربلان كل مرة ، بينما كان استنكار جومولكه لها يحذف في كل مرة . والحقيقة هي أن فلادسلاف جومولكه ، المتزوج من امرأة يهودية الاصل ، كان أحد زعماء الديمقراطيات الشعبية التي شنت أعنف هجوم ضد اسرائيل وسياستها التوسعية بعد « حرب الايام الستة » .

وكذلك فقد وجهت تهمة مناهضة الصهيونية الى المؤلفين والصحفيين جزافا دون أي سبب حقيقي عدا التخريب على القضية العربية . فمثلا ، اعتبر كتاب « فلسطين عملنا » بقلم البروفسور ميلر بارو مناهضا للسامية مع ان مؤلفه يعمل نائبا لرئيس الجمعية الوطنية لمحاربة مناهضة السامية . وقد وجهت تهمة مناهضة السامية الى كل من البروفسور توينبي ، والسير جون جلوب ، وارسكين تشلدرز واثيل مينن ومايكل ادامز .

لقد ساهمت الابحاث الواسعة ؛ التي اجريت تحت عناوين مختلفة في الولايات المتحدة وبريطانيه حول مناهضة السامية ، بزيادة فعالية الجهاز الذي يستخدم مناهضة السامية كوسيلة للابتزاز . فقد بلغ هذا الجهاز من الكمال والاتقان درجة لا يمكن معها عمليا الهرب من شباكه . يشير جورج كيرك الى ان التمسك بأمر تفصيلي أو بحادث صغير ومن ثم تضخيمه ليصبح قضية عالمية هو المفتاح لفن الدعاية الصهيونية (١٢) ، انه الخدعة الاعلانية الرئيسية الناجحة التي بواسطتها يمكن اظهار سحاب السروال المقطع على شاشة التلفزيون وكأنه فطيرة لحم خنزير ممتازة ، أو كشريط سينمائي اكثر اباحية من فيلم « الصمت » او ازرار مصنوعة في

(١١) ــ « مورننج ستار » ، ٨ ايار (مايو) ١٩٥٩ .

(١٢) ــ كيرك جـ. ، عرض للاحداث الدولية ــ بالانجليزية ، ١٩٣٤ ــ ١٩٤٠ ــ الشرق الاوسط ١٩٤٥ ــ ١٩٤٩ ، المعهد الملكي للشؤون الدولية ، ١٩٥٤ ، ص ٢٠٣ .

هونج كونج ــ ذلك كله وفقا لما هو مكتوب تحت الصــورة . ان الناس لا يريدون معرفة حقيقة موقف جومولكه أو ديجول او بيفن . وفي الحقيقة ، انه لمن الاهمية ان لا يقول الصحفــي الصهيوني للجمهور كل تفاصيل القضية . وكان يكفي تكرار الزعم ان بيفن كان ينطق باسم العرب لانه كان مناهضا للسامية وذلك عندما قال بأن على اليهود « الا يأخذوا دور غيرهم » .

في عصر الآلات الحاسبة ما يهم بالنسبة للعالم هو الارقــام والرموز ، لدرجة ان ارتكاب غلطة حسابية بسيطة يمكن ان ينتهي بثغرة واسعة . وخلال سنوات تطور المسألة اليهودية ظهرت الى عالم اللغة مجموعة من الارقام والرموز . ويستغل الصهيونيون هــذا المحصول للتلاعب بالرموز حتى يتم التوصل الى ثغرة الاعــلام الواسعة وذلك بفضل الكتّاب العاديين او الخطباء الذيــن لا يهمهم جهاز الآلة الحاسبة ولا رموزها . وهكذا اصبح ديجول مناهضــا للسامية حالما استخدم تعابير « الغطرسة » و« المستبد » ، وصدف ان كلمة « غطرسة » هي جزء من اســم جمعية المانية منــاهضة للصهيونية اسمها « جمعية محاربة الغطرسة اليهودية » ، بينما كلمة « مستبد » مشتقة من « أستبداد » أو تسلط ، وهذه كلمة رئيسية في « بروتوكولات حكماء صهيون » .

يكثر جدا استخدام هذه التعابير المثيرة في هجمات الدعاية الصهيونية ؛ فقد وصف بن جوريون المعارضة البريطانية للنشاطات غير الشرعية التي كانت تقوم بها الوكالة اليهودية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بانها ليست امبريالية ولا اضطهاد بل هي « تمييز عنصري » (١٣) . ويظهر التلاعب بالالفاظ في القرار الذي اتخذه مهرجان جماهيري في اسرائيل في ١٩٥٦ احتجاجا على طلــب العالم والامم المتحدة الى اسرائيل ان لا تضم غزة اليهــا . يقول القرار : « يحتج مواطنو اسرائيل بشدة ضد المحاولات التي تقوم بها الجمعية العمومية وغيرها من مؤسسات الامم المتحدة للتأثير على

---

(١٣)ــ « زيونسست ريفيو » ، ١١ نيسان (ابريل) ١٩٤٧ .

امن اسرائيل وعلى المساواة في الحقوق عن طريق عمل تمييزي يشكل خرقا للميثاق » (١٤) . ان الحشر البارز لتعبير « عمل تمييزي » في هذه الفقرة هو نوع من التثبيط المدبر .

وقد حدث وضع مشابه لهذا في ١٩٦٨ عندما اعلنت الامـــم المتحدة معارضتها لاجراء اسرائيل عرضها العسكري في القدس القديمة العربيـــة . والحقيقة انه لم يكن هناك جديد في المسألة . فالامم المتحدة عارضت جميع الاستعراضات العسكرية في القدس لان ذلك يخالف قرارها بتدويل المدينة المقدسة وعزلها من السلاح وقـــد تسبب الاستعراض الذي اقيم في المدينـــة المقدسة في ١٩٦٨ بارتفاع موجة احتجاجات ليس من اصدقاء اسرائيل فحسب ولكن أيضا من قطاعات هامة من شعب اسرائيل نفسه . ومع هذا ، فقد وصم يوسف تكواه ، المندوب الاسرائيلي لدى الامم المتحدة ، قبول الاردن لقرار مجلس الامن ـــ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ـــ بروح دمشق الدموية وقال : « والآن ، اختاروا القدس كعنوان لتشهيرهم الدموي » (١٥) .

كما ان ابا ايبان وصف مادة « لوموند » ، التي أمست الهدف الجديد للهجوم ، بأنهـــا تحـــوي « اكثر الكتابات **التحريضيـــة** فظاظة » (١٦) . وكلمة تحريض تستخدم في الحديث عن المجازر العنصرية والمناهضة للصهيونية ، وكانت قد ادخلت الى القانون البريطاني الخاص بمعاملة الاقليات .

---

(١٤) ـــ انظر بيرنز ، ص ٢٤٩ .

(١٥) ـــ نشرة الامم المتحدة الشهرية ـــ بالانجليزية ، تموز (يوليو) ١٩٦٨ . ان تهمة الدم التي بدأت في القرون الوسطى ضداليهود الذين اتهموا بقتل اطفال المسيحيين وشرب دمهم ليست سوى اختراع أوروبي غير معروف في الاسلام . وبالتسلل الامبريالي لفرنسه في سوريه ، اثيرت دمشق في ١٨٤٠ بهذه التهمة نتيجة لتحريض المبشرين الفرنسيين . وقد اعتقل زعمـــاء اليهود وجمعوا في الشوارع . ورفعت القضية للقاهرة ، فأمر محمد علي باشا باطلاق سراح اليهود مذكرا والي دمشق بأن مثل هذه الاعمال غريبة عن الاسلام .

(١٦) ـــ « جويش كرونيكل » ، ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ .

نجح مخططو الدعاية الصهيونية في تطوير وضع تشعر فيه انك مذنب مهما كان جوابك للاسئلة ، واذا سكت ولم ترد يكون ذلك برهانا على الذنب المرتكب . ان ذلك نوع من الروايات الارهابية جلبمن عالم الادب الى الحياة . يضع الصهيونيون فريستهم في وضع يضطره للحديث اكثر ، وكلما تحدث اكثر يقول الصهيونيون للجماهير : « ألم نقل لكم ؟ » ، وافضل ضحاياهم يكونون عادة من الاشخاص ذوي الامانة والحساسية والاخلاص والصراحة والبراءة واولئك الذين لا يخافهم أحد . وجميع الضحايا الذين اشيراليهم آنفا هم من هذا النوع .

من المتفق عليه بشكل عام ان رفض الولايات المتحدة « لليهود المطرودين » بالهجرة اليها كان عاملا اساسيا في سياسة أميركه الموالية للصهيونية بعد الحرب ، ومع ذلك فقد تم استغلال جملة بيفن الصريحة « انهم لا يريدون عددا كبيرا من اليهود في نيويورك » . مرة بعد مرة لوصمه بمناهضة السامية . ومن المعروف ان العداء الشديد للصهيونية الذي اظهره في السنوات الاخيرة من حياتهما كل من فورستال وبيفن جاء بعد عملية متواصلة من تحرش اليهود بهما وتحقيرهما .

لقد وجد الكتّاب والساسة والصحفيون ان افضل شيء لهم هو تجنب اية حرب كلامية مع الصهيونيين وان يتغاضوا عن كرامتهم اذا ماتعرضوا للهجوم . ذكرت « الاوبنيون نيوز » في ١٩٤٧ أن ٣٠ بالمئة من المحررين الاميركيين كانوا يؤيدون تقسيم فلسطين و ٥٠ بالمئة يعارضونه ، كذلك اكتشف ان ٤٧ بالمئة من الصحف أحجمت خلال تلك الفترة عن التعليق على قضية فلسطين (١٧) . والنتيجة كانت صورة موالية للصهيونية بشكل عام.

ورغم هذا ، فان شخصا واحدا اراد اتباع طريق مغاير للصهيونية لكي يبرهن انه من السهل التغلب على الصهيونيين اذا ما عولجت القضية بذكاء وحزم وشجاعة . ان هذا الشخص هو

(١٧) ــ ليلنتال ، ثمن اسرائيل ، ص ١٢٦ ــ بالانجليزية .

كريستوفر ميهيو ، النائب العمالي البريطاني ، الذي تجرأ للدفاع عن القضية العربية في برنامج « شـــاهدك » الذي عرض علـــى التلفزيون البريطاني في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٨ . وبعد ذلك احتج ريجنالد فريسون ، النائب العمالي البريطاني ، الى رئيس كتلة الحزب في البرلمان ضد آراء ميهيو ، كما طالب الحزب باعلان عدم مسؤوليته عن هذه الآراء . كذلك سارع موريس ايدلمان، النائب العمالي البريطاني ، الى الصاق تهمة مناهضةالسامية بالسيد ميهيو في مقالة نشرتها « جويش كرونيكل » . يظهر ان هناك ابتزازا أخلاقيا وفبركة مقصودة واعية في التهمة من خلال معرفة ايدلمان ان زميله العمالي له سجل حافل من النشاطات المؤيدة لليهود في بريطانيه وخارجها (١٨) . طبعا ، ان أي سياسي ضعيف يتبع الطريق السالكة ليتجنـــب المشاكل ، ولكن السيـــد ميهيو جعل « الجويش كرونيكل » والسيد ايدلمان يمثلان امام المحكمة بتهمة القدح والذم واضطرهما للاعتذار علنا .

ومع ان هذه الاتهامات توجّه اهدف محدّد ، الا انها ليست دون تأثير عاطفي على القارىء اليهودي العادي . يجد جنـــون الاضطهاد الذي فرض على غالبية اليهود عبر القرون تعبيرا لنفسه من خلال الحساسية الزائدة لأي تعليق او اشارة . وهجوم بن عازاي على « الجارديان » جعل احد القراء يبعث برسالة يذكّره فيها انه ليست « الجارديان » وحدها مناهضة للسامية بل انجميع الصحف البريطانية كذلك (١٩) . كذلك فان جورج براون كان مجرد رمزا للاسامية ، فكل وزارة الخارجية كانت في نظرهم مناهضـــة للسامية وتستحق كتابا كاملا حول هذا الموضوع (٢٠) .

انتقد السيد أ. شارف في نطاق معالجته لموقف الصحافـــة البريطانية مجلة « ورلد ريفيو » لنشرها بحثا عن الانتداب فـــي فلسطين دون الاشارة الى المجهود الحربي اليهودي مع ان الهدف

(١٨) ــ « التايمز » ، ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ .
(١٩) ــ « جويش كرونيكل » ، ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ .
(٢٠) ــ « جويش كرونيكل » ، ٧ تموز (يوليو ، ١٩٦٧ .

المعلن عنه للبحث كان « لوضع القضية العربيـــة » في « وضـــع يعيد التوازن » كان هناك عشرات من المعارض العربية في لندن لم يرد ذكر لها في اية صحيفة . ومع هذا ، فان الكاتب نفسه استثنى من ذلك معرضا عن « فلسطين اليهودية » خـــلال الحرب « لان الصحافة لم تتجاهله ، ولكن بعض الصحف المحلية اكتفت بنشر نص مكثف للنشرة التي يصدرها المعرض » وبالنسبة له لا يمكن وصف هذه المعالجةبمجرد كلمة « مناهضة الصهيونية » ، انهـــا مناهضة للساميّة (٢١)

ان رسائل القراء في الصحف اليهودية في كل مكان هي خـــير مثال على هذه العقلية . آن تقول لهم انه لم يكن هناك اساءة مقصودة في قاموس « نيو اوكسفورد » في شرح كلمة « اليهودي » يكون كما لو انك أخبرت امرأة مضطربة عقليا بأنها لم تبلع حصانا في بطنها . ومن خلال التحليل ، يظهر بأن ليس المريضة وحدها تعتقد بوجود حصان في بطنها ، بل ان كل شخص في المستشفى يعتقد بصحة ذلك

ان الخوف من تهمة مناهضة السامية هو جزء من المنـــاخ السياسي لفترة ما بعد الحرب من أجل استرضاء الاقليات والقضاء على جميع اشكال التمييز ، والخوف من مناهضة السامية يعتبر حقيقة بالنسبة للشخصيات المعروفة كما لو أنه تحامل ضد الملونين ، وفي كلتا الحالتين يظهر بأن ردّ الفعل هو المبالغة في رد الفعل بسبب القرون الطويلة من التمييز العنصري والديني وهذا هو السبب الذي يجعل المانيه الغربية من اكثر دول العالم حساسية للكتابات المناهضة لاسرائيل والصهيونية فمثلا ، نشرت « بلافاليـــت » الالمانية الغربية جميعروايات اثيل مينن عن الشرق الاقصى ورواياتها الكاثوليكية ولكن لم تنشر أيا من كتبها عن الشرق الاوسط . فقد وقّع معها مدير شركة النشر عقدا بخصوص كتابها الناجح « الطريق الـــى بئر السبع » ولكنـــه عاد فسحب العقـــد خوفا من تهمـــة

---

(٢١) ــ شارف ، أ. ، الصحافة البريطانية واليهود في ظل الحكم النـــازي ، بالانجليزية ، مطبعة جامعة اوكسفورد ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٦ ، ١٢٧

اللاسامية (٢٢) . وباستثناء افراد من اليسار الجديد الذين لا يخافون من هذه التهمة ــ كلما ازداد الميل نحو اللاسامية ازداد التخوف من التهمة ــ لم يكن باستطاعة العرب ان يجدوا صوتا مؤيدا لهم بين صفوف الشعب الالماني .

ان يستغل الصهيونيون هذه الفائدة لمصلحتهم هو شيء طبيعي ، ولكن ثبت ان الحدود التي وصلوا اليها تجاوز كل ما هو منطقي ومتوقع . حتى ان الاحتجاجات رفعت ضد اصدار بطاقة خاصة بعيد الميلاد في الولايات المتحدة وضد اقامة شجرة الميلاد في قاعة مكتب البريد في نيويورك . ولا يقلق القوميون اليهود المغامرون من امكان حصول ردود فعل مناهضة للسامية بسبب تصرفاتهم . فلو نجحوا في جعل المحررين والساسة يذعنون لهم ، فذلك يعتبر مكسبا لهم ، ولو فشلوا ونتج عن ذلك موجة مناهضة للسامية ، سيضطرون لاثبات موقفهم ، اي : ان مناهضة السامية هي قانون الطبيعة ، وبالتالي ليس هناك من مكان لليهود الا في اسرائيل . وهذه هي لعبتهم الخداعية الاخرى .

---

(٢٢) ــ في رسالة من اثيل مينن الى المؤلف .

(٩)

شاهد العيان

بتقييد الصحافة والاذاعة بالضغط الاقتصادي والعاطفي وبالتسلل الحقيقي او بالامتلاك ، لا يبقى من خطر يهدد بفضح الموقف الاسرائيلي الا التدخل المباشر والرسمي لاولئك الدخلاء الاجانب في القضية . من المعروف انه خلال الانتداب كان معظم هؤلاء الرسميين الذين يأتون الى فلسطين وهم يؤيدون القضية الصهيونية يتحولون تدريجيا نحو تأييد العرب . حتى ان صهيونيين من امثال هربرت صموئيل والبرت هايمسون ونورمان بنتويتش غيروا مواقفهم بعد عدة سنوات من وصولهم الى فلسطين واصطدموا مع المنظمة الصهيونية فبداوا يدعون الى اقامة دولة ثنائية . وقد اشتكى حاييم وايزمن في يومياته من هؤلاء الموظفين البريطانيين الذين ذهبوا الى فلسطين وهم يؤيدون القضية الصهيونية ولكنهم انقلبوا عليها بعد عودتهم الى بريطانيه (١) . وقد ذكر اسرائيل كوهين في كتابه « الحركة الصهيونية » بأن هؤلاء الموظفين كانوا يكشفون عن عدائهم للصهيونية **بعد** عودتهم الى بريطانيه (٢) ، كذلك يعترف ارنولد ستورز الذي يعتبره الصهيونيون جلاد الوكالة اليهودية ، في مذكراته بأنه ذهب الى فلسطين وهو يعطف عطفا كليا على القضية الصهيونية (٣) .

وقد قدمت عدة تفسيرات هامة لهذه الظاهرة . فأرجعها

---

(١) ــ وايزمن ، ص ٤٦٨ .

(٢) ــ كوهين ، ا. ، الحركة الصهيونية ــ بالانجليزية ، لندن ، ١٩٤٩ ، ص ١٣٦ .

(٣) ــ ستورز ، ر. ، المشرقيات ــ بالانجليزية ، لندن ، ١٩٣٧ .

البعض الى السلوك السيىء ليهود أوروبه الشرقية ، واخرون ، لجاذبية الملابس العربية ، والى طواعية الفلاح ، والى ملابس النساء المطرزة والى طعم الحمص اللذيذ ... الخ ، ولكن قليلين اهتموا بالتفسير الواضح الذي يقول بأن الموظفين البريطانيين لم يمنحوا الفرصة لسماع وجهة النظر العربية الا عندما اتصلوا بأصحابها في ساحة الحقائق الصحيحة . وكان « رجل الساحة او المكان » هذا هو الذي صب عليه جابوتنسكي جام غضبه في تقريره الذي قدمه الى لجنة بيل . وقد نصح اللجنة الملكية بالاستماع الى نصائح ديبلوماسيي عصبة الامم ، المبعدين في جنيف ، وليس الى الموظفين والقضاة البريطانيين المناهضين للسامية والموجودين في ساحة فلسطين (٤).

وبدورها اعترفت اللجنة الملكية بكل وضوح ان القضية العربية كانت تعاني الكثير بانتقالها من القدس الى لندن (٥) . ان ما فشلت اللجنة في معرفته هو ان القضية كانت تعاني في لندن عندما كانت تترك بين أيدي اناس لم يكونوا مسؤولين بصفة رسمية في ادارة البلاد وبذلك لم يكونوا على اتصال مباشر بالاحداث ، ولذلـك ، فمصير القضية العربية أفضل عندما تكون في يد الحكومة ، بينما تنجح الصهيونية في اثارة صراخ المعارضة . ورغم اصدار حزب العمال قرارا سنويا بتأييد البرنامج الصهيوني ، الا انه اغضب الوكالة اليهودية عندما كان في السلطة في ١٩٣٠ ، فقد عارض السيد تشرشل الكتاب الابيض في ١٩٣٩ عندما كان خارج السلطة وأيده عندما أصبح رئيسا للحكومة فيما بعد ، وفي ١٩٤٤ اصدرت اللجنة التنفيذية لحزب العمال قرارا يوصي « بطرد العرب الـى الخارج واستقدام اليهود الى الداخل » ، ولكنه اتخذ موقفا معاكسا تماما لهذا عندما تسلم السلطة ، فقرر عدم السماح بدخول يهود اكثر مما اقره الكتاب الابيض .

بعد انسحاب الانتداب ، ملأت الامم المتحدة الثغرة التي قامت بين العرب والاسرائيليين ، وقد استطاعت الامم المتحدة ان تقدم

(٤) ــ تصريحات لجابوتنسكي ــ بالانجليزية .

(٥) ــ رقم ٥٤٧٩ ، ص ٩٢ .

عددا كبيرا من الشهود على الاعمال الاسرائيلية من خلال موظفي الاونروا ومستشاريها ، وضباط لجان الهدنة المشتركة ، ومراقبي الهدنة التابعين للامم المتحدة ، وقوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة ايضا . وكان جميع هؤلاء أعداء اجهزة الاعلام الاسرائيلية . ان المستمسكات التي ترد في تقارير الامم المتحدة عن الساحة تقدم مادة لا يمكن اهمالها رغم تشويه الصحافة الغربية لها . وجميع ممثلي الامم المتحدة تقريبا مثل الكونت فولك برنادوت والجنرال اديسون لويس ميلر بيرنز والجنرال كارل فون هورن والقائد المو هـ. هتشسون والبروفسور جون ديفيز اصدروا مذكرات وكتبا تتعلق بمهماتهم في فلسطين ، وقد استنكرت جميع هذه الكتب اعمال قادة اسرائيل الصهيونيين بشكل عنيف جدا (٦) .

اصبح ممثلو الامم المتحدة الموجودون في المكان هدفا لسخرية واساءة وتلميح صحف تل ابيب . وفي الوقت نفسه ، دفع جهاز الاستخبارات الاسرائيلي بعملائه وادواته لافساد هؤلاء الممثلين وتحقيرهم وتخويفهم ، ويتحدث الجنرال كارل فون هورن عن الاساليب اللاخلاقية التي كان الاسرائيليون يستخدمونها للتأثير على رجاله والتسلل الى مكتبه . وتذكر الملفات الاسرائيلية عن كل مراقب من مراقبي الامم المتحدة ما اذا كان هذا المراقب يفضل الفتيات السمراوات او الشقراوات . وقد اصبح القطاع الاسرائيلي من القدس وكرا للفساد والاغراء من قبل « بلد يسري التجسس في عظامه ، بلد ادرك اثر العنصرين التوامين : الفساد ، والتهديد ، لدرجة ربما تكون مثار حسد اي بلد اخر في العالم » (٧) . وقد حاول المايجور ر. هانسون ان ينزع النفوذ الذي فرضته تل ابيب على بعض من ممثلي الامم المتحدة ، لكن الاستخبارات

---

(٦) ـ الكونت فولك برنادوت ، الى القدس ـ بالانجليزية ، لندن ، ١٩٥٦ ، بيرنز ، ا. ل. م. ، بين العرب والاسرائيليين ، بالانجليزية ، لندن ١٩٦٢ ، هورن ، كارل فون ، لندن ، ١٩٦٦ ، هتشسون ، ا. هـ. ، « الهدنة الدامية » ، بالانجليزية ، نيويورك ، ١٩٥٦ .

(٧) ـ هورن ، ص ٦٩ .

الاسرائيلية رتبت له نوعـــا اخر من المعاملة ــ فقــد اعدت له « اصطدام سيارة » لم يشف منه كليا أبدا .

خلال عشرين السنة الاخيرة ، واصلت سلطات تل ابيــب عمليات طرد العرب وخاصة بدو النقب ، وكانت خيامهم واغنامهم تتعرض لقصف الطائرات الاسرائيلية بينما كان الجنود الاسرائيليون يطلقون النار علـــى البدو قرب مصادر المياه الرئيسية (٨) . كما تم الاستيلاء على المناطق المحايدة على طول الحدود السورية والمصرية وطرد سكانها منها بالاضافة الى استيلاء اسرائيل على اكثر من اربعة ملايين دونم ارض يملكها العرب داخل اسرائيل نفسهـــا . ان جميع هذه الامور من اختصاص سلطات الامم المتحدة ولكنها ليست معروفة في العالم الخارجي ، لذلك ، اصبح نفي رجال الامم المتحدة قطعة أخرى ضرورية من « محدلة » الاعلام الصهيوني .

وفيما يلي قائمة بعدد المرات التي عارضت فيها اسرائيـــل الوجود المستقل للسلطات الدولية :

١ . ١٩٤٨ : عارضت اسرائيل قرار تدويل القدس تحت حاكم تعينه الامم المتحدة .

٢ . ١٩٥١ : رفضت اقتراح الامم المتحدة بوضع قارب مراقبة في بحيرة طبريه يحمل علم الامم المتحدة .

٣ . ١٩٥٥ : رفضت اقتراح انطوني ايدن لتخفيف التوتر عن طريق زيادة عدد المراقبين الدوليين .

٤ . ١٩٥٦ : عارضت اقتراح الجنرال بيرنز لتشكيل دوريات مراقبة مصرية ــ اسرائيلية باشراف الامم المتحدة .

٥ . ١٩٥٧ : قاومت محاولة وضع قوات طوارىء دولية على الجانب الاسرائيلي من الحدود .

---

(٨) ــ تقرير رئيس اركان هيئة الاشراف على الهدنة الى مجلس الامن ، ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٣ .

٦. ١٩٥٨ : عارضت اقتراح داج همرشولد بزيادة قوات الامم المتحدة .

٧. ايار (مايو) ١٩٦٧ : طلب الى اسرائيل ان تضع قوات الطوارىء الدولية على الجانب الاسرائيلي من الحدود بعد سحبها من الجانب المصري ، ولكنها رفضت الطلب ، وذهبت للقتال بدلا من ذلك .

٨. ١٩٦٧ : بعد « حرب الايام الستة » رفضت اسرائيل وضع قوة دولية على ضفة قناة السويس التي تحتلها هي .

٩. اذار (مارس) ١٩٦٨ : رفضت الاقتراح القاضي بوضع مراقبين دوليين على طول نهر الاردن (٩) .

١٠. تعارض اسرائيل ايجاد تسوية سلمية تسحب بموجبها قواتها من الاراضي المحتلة وان تحل مكانها قوات سلام دولية .

وفي تعامل اسرائيل مع المراقبين الدوليين اتبعت قاعدة : **اول من يخرج واخر من يدخل** ، فيكونون اول من يطرد عندما يتقدم الجيش الاسرائيلي ، فمثلا تم طرد المايجور لوجريل ، مراقب الامم المتحدة في العوجة التي كانت تعتبر النقطة الرئيسية للتقدم نحو سيناء ، وقد حصل ذلك في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ قبل ساعات من بدء الهجوم الاسرائيلي على مصر . وما ان وصلت القوات الى غزة ، حتى احتلوا مواقع لجان الهدنة المشتركة واندفعوا نحو محطة اللاسلكي وحطموا الباب وسلبوا جهاز الارسال (١٠) . وقبل ذلك بسنة حبس مراقبو الامم المتحدة في غرفهم في العوجة بينما كان الاسرائيليون يقومون بذبح خمسين مصريا (١١) . وبعد الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ استخدم اسلوب طرد المراقبين

---

(٩) ـــ قال مراسل « التايمز » ان اسرائيل كانت تعتبر وجود الامم المتحدة « مصدر ازعاج لها » ، (التايمز ١ نيسان (ابريل) ١٩٦٨) .

(١٠) ـــ بيرنز ، المصدر نفسه .

(١١) ـــ هتشسون ، ص ١١٤ .

الدوليين بالطريقة ذاتها . ومن ناحية اخرى ، كان مراقب الامم المتحدة في حال حدوث اشتباك على الحدود اخر من يدعى الى تل ابيب ، وكان يتم ذلــك بعــد استدعاء الاستخبـــارات والجيش والصحفيين والسياح الاجانب وحتى اطفال المدارس (١٢) .

ويظهر بأن الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، كان مقتنعا بأن التحدث عن هذه المسألة في العلن يساعد بشكل رئيسي على حلها . وقد كلفه هذا الاقتناع حياته ، اذ اصبح اول شهيــد يموت في خدمة المنظمة الدولية . وقبل موته بقليل كتب الوصية التالية :

« لقد منحنا العرب كل مساعدة ممكنة خاصة خلال الهدنة الثانية ، بينما كان اليهود ، من ناحية اخرى ، يضعون العصي في الدولاب باستمرار ويقومون بأي عمل من شأنه عرقلة مهمتنا. ويجب ان يكون اكثر من ٣٠٠ ضابط قد وصلوا الى فلسطين قبل الان بكثير. ومن تجربتي الشخصية ، علمت ان هؤلاء الضباط كانوا يعطفون على القضية اليهودية قبل وصولهم ، ولكنني عرفت ايضا بـــأن الظروف ستضطرهم لتغيير موقفهم هذا . وعند عودتهم الى بلادهم ، يتوقع ان يتحدثوا عما في قلوبهم دون لف ودوران » (١٣) .

لم يذهب نداؤه سدى ، فكان من المؤكد ان تقدم تقـــارير مراقبي الامم المتحدة المدعمة بالصور والخرائط والرسومات المختلفة ذخيرة ممتازة للقضية العربيـــة ، لو انها نالت القدر الكافي مـــن العلنية . ومع هذا ، فحتى الباحثون المختصون يجدون صعوبة في الحصول عليها . في ١٩٦٦ ، اقترح المندوب المغربي الى الامم المتحدة اعداد تقرير شامل « يستند كلية على الحقائق » ويقدم صورة احصائية متكاملة عن الاوضاع القائمة على الحدود بـــين اسرائيل والدول العربية ، ولكن الامين العام للامم المتحدة وجد ان جمع الاف الشكاوى والتحقيقات الموجودة في ملفات هيئة الاشراف

---

(١٢) ــ هورن ، ص ٢٥٦ .

(١٣) ــ برنادوت ، الكونت فولك ، الى القدس ــ بالانجليزية ، لندن ، ١٩٥١ .

على الهدنة التابعة للامم المتحدة ، ومئات القرارات التي اتخذتها لجان الهدنة المشتركة الاربع سيشكل مجلدا ضخما يتألف من الاف الصفحات ، ليس بمقدور الامم المتحدة تنفيذه (١٤) . وهكذا تبقى الحقائق المهمة غائبة عن القارىء العادي والصحفي المشغول .

(١٤) — وثائق الامم المتحدة س/٧٢٨٣ — ٦ أيار (مايو) ١٩٦٦ .

(١٠)

الخاتمة

لقد وصل نجاح جهاز الاعلام الصهيوني والسيطرة القوية التي حققتها المنظمة الصهيونية العالمية على الراي العام في الغرب القمة خلال أزمة ١٩٦٧ . ولم يكن لدى القيادة العسكرية الاسرائيلية والبنتاجون وجميع الخبراء العسكريين الغربيين ادنى شك حول نتيجة اي نزاع مسلح بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي . وجميع مؤرخي « حرب الايام الستة » يعترفون بهذه الحقيقة ، كذلك من المعترف به بالنسبة لاسرائيل وغيرها من المراقبين الدوليين انه لم يكن لدى الرئيس عبد الناصر اية نية في الهجوم على اسرائيل ، فصور توزيع قواته ودباباته تثبت بشكل لا يقبل الدحض ان تلك القوات كانت في وضع دفاعي ، كما انه لم يتم العثور على اية خطة هجومية في مراكز قيادات الجيوش العربية التي استولى عليها الاسرائيليون ، والخطة الوحيدة التي اعلنتها مصلحة الاستعلامات الاسرائيلية كانت خطة عمليات مصرية جوية تبين الهجوم على المطارات والاهداف العسكرية الاسرائيلية دون أي أمر لضرب المناطق الآهلة بالسكان المدنيين . ولا يمكن تفسير الخطة كاعلان عن نية مهاجمة اسرائيل لانه ليس هناك جيش نظامي كبير في العالم يخطط للدفاع عن بلاده دون وضع حساب للقصف الجوي على اهداف العدو العسكرية .

ومع هذا ، ففي صباح الخامس من حزيران (يونيو) بلغ العالم درجة الهستيريا في انتظار المذبحة التي كانت تنتظر اولئك الاسرائيليين المساكين ، وهذا يشير الى انه لم يحدث في التاريخ

قط ان تم قلب أي وضع من الاوضاع مع بقاء ظلاله وخطوط ارتفاعاته ثابتة كما حدث في ذلك الوضع الذي شمل العرب والاسرائيليين في الاسبوعين السابقين لبدء المعارك . انه لمن المؤسف والاجحاف حقا لعالمنا نحن ولموقفنا من رجال الادب وصانعي الفكر ، ان تشهد « حرب حزيران » هذا العدد الكبير من الضباط والجنود ينالون الاوسمة والترقيات في اسرائيل بينما لم يذكر أحد فضل رجالات الاعلام الصهيوني .

لقد انتهت الحرب بمسح عشرات القرى من على وجه الارض وبقتل الاف الجنود والمدنيين وبتشويه المئات بالنابالم وباخراج اكثر من نصف مليون لاجىء عربي « جديد » . وكان اكتشاف الحقائق الصحيحة للوضع بمثابة الصدمة الكهربائية الشافية لمئات من المراقبين والمثقفين والصحفيين الغربيين الذين جرفتهم الهستيريا . فمثلا ، صحا جان بول سارتر ، الناقد السياسي الموضوعي العاقل ، من كابوسه على صرخات وعويل النساء الفلسطينيات بعد أن كان قد سار على راس تظاهرة الى السفارة الاسرائيلية في باريس تأييدا للاقلية الاسرائيلية المحاصرة دون أية وسيلة للدفاع عن نفسها . « من كان يعتقد ان الحرب ستنتهي بهذا الشكل ؟ من كان يعتقد ان العرب هم الذين يعيشون في وضع خطر ؟ » ثم استطرد سارتر للقول بأن الشعب الفرنسي بأجمعه كان يؤمن بأن العرب كانوا يريدون الحرب من أجل تصفية اسرائيل بسرعة وافناء سكانها اليهود (١) .

لقد فات الاوان ، ونتج عن الخدعة تحصيل حوالي مئة مليون جنيه لمساعدة اسرائيل ، وتطوع ثمانية الاف شخص سارعوا لمساعدة جهازها الحربي ، وتأييد دون تحفظ من العالم الغربي على هذا العدوان . كذلك تم التضامن اليهودي باستثناء بعض المجموعات اليهودية هنا وهناك ، ورغم الوحي الذي هبط على سارتر وغيره من المفكرين السياسيين استمرت ايضا الاسطورة التي تقول بأن

---

(١) ـ مقابلة مع لطفي الخولي ، الاهرام ، ٣ تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

الاسرائيليين كانوا مضطرين للقتال واحتلال سيناء والقدس والضفة الغربية وجزء من سوريه لكي تدافع عن نفسها من الافناء . وعلى العرب ان ينالوا قسطهم من اللوم لتزويدهم الصحفيين الصهيونيين بهذه الذخيرة من التصورات . وقد فهمت لغتهم العاطفية التي هي جزء من الوان التزيين في الشرق الاوسط بحرفيتها في الاوساط الغربية وفسرت بشكل مختلف عند الصهيونيين الذين عمدوا في الوقت نفسه الى خنق تصريحات اخرى مسؤولة مثل تطمينات عبد الناصر لانطوني ناتنج . لقد تعلم العرب درسا من ذلك ، كما صرحوا في مؤتمراتهم وكتاباتهم المختلفة .

بصرف النظر عن الانتصار الاسرائيلي الدعاوي الضخم واستيلائه على عقول الغربيين ووسائلهم الاعلامية ، يظهر ان الصهيونيين غير راضين عن هذا الوضع الناجح لدعايتهم . لذلك يثيرون صخبا وضجيجا في حال شق اي ثغرة للقضية العربية . ولقد اعتادت هيئة الاذاعة البريطانية على تهمة التحيز ولكن لا بد ان يكون رئيس تحرير برنامجها « راديو تايمز » قد دهش عندما قرأ في « الجويش كرونيكل » بأن وجود صورة لاجىء عربي مع البرنامج دلالة على مناصرة هيئة الاذاعة البريطانية للعرب . كتب بن عازاي قطعة حول هذا الموضوع يجب ان تعتبر في طليعة النصوص الصحفية التي تذكرنا بكتابات شكسبير التي يمكن ان تفهم بعدة اشكال : « كيف يمكن ان يكون اليهود المتفوقون في كذا اشياء فاشلين في الدعاية ؟ . . . ان ذلك ينجم بشكل رئيسي عن الثقة المتغطرسة بعدالة قضيتنا . وطبعا ، اثناء النزاع العربي — الاسرائيلي الاخير كانت العدالة بجانب اسرائيل كليا ، لذلك شعرنا انها يمكن ان تتحدث عن نفسها بنفسها . العدالة كالحقيقة ، يجب ان تظهر ، ولكنها تأخذ وقتا طويلا لتستطيع الظهور . لذلك يجب تكرار الحقيقة مرة بعد مرة وان يعلن عنها عاليا كما هو الحال الان بالنسبة للكذبة » (٢) .

---

(٢) — « جويش كرونيكل » ، ١٨ اب (اوغسطس) ١٩٦٧ .

يجب ان لا يتحامل القارىء على صاحب هذه الفقرة . ان بن عازاي ليس متهكما ولا محرضا ولا مواربا . لقد اشبع بمثل هذا الوهم منذ ولادته ، وترعرع وهو يؤمن بأنه لا يوجد سكان عرب في نلسطين وليس هناك قضية فلسطينية في الوجود . وهو يعتبر وجود متحدث عربي في التلفـزيون ورسالة مناصرة للعـرب في « الجارديان » تصدعا في نظامه الفكري هذا . فالعالم بالنسبة له على حق عندما لا يسمع احد عن القضية الفلسطينية . لذلك تزاد الاموال والموظفون يزادون يوما بعد يوم على آلية الدعاية الصهيونية لجعل هذا العالم كاملا كما يعرفه بن عازاي . ولهذا الكد وهذه المصاريف هدف واحد هو : استغفال الملايين التي تعيش في أوروبه الغربية واميركه الشمالية .

لقد قيل لنا بأن سبب شقائنا يعود الى تلك المراة الغبية التي اكلت من شجرة المعرفة ، وتمضي الاسطورة لتخبرنا ان تلك كانت الشجرة الوحيدة التي لم تبلغ عنها حواء شيئا . لذلك فمأساة الجنس البشري تظهر وكأن سببها يعود للاهمال اكثر منه للمعرفة ، وهذه الحقيقة تحدق بنا على جميع مفارق الطرق في تاريخنا . فمثلا ، لا يزال أ. ج. ب. تايلور يقول بأن الحرب العالمية الثانية كانت قضية سوء فهم ومعلومات خاطئة بالنسبة لالمانيه . يظهر انه افضل للمؤرخ ان يعزو الاسباب الى ما لم يحدث بين فريقين متنازعين بدلا من ان يرجعه الى ما قد حدث .

بالنسبة لاي شاب بلغ سن الانتخاب ، كانت فلسطين تعتبر بلادا بعيدة ذات أهمية ومنفعة قليلتين ، وقد تم اخماد او تحطيم جميع الانذارات المتكررة التي نبهت الى ان التقسيم سيلهب العالم العربي من المحيط الى الخليج . ولم يكن هذا الشاب يدرك مدى اعتماده على اسواق وبترول هذه المنطقة ، او الى اين وكيف يتم تصريف هذا المنتوج الهام . وكانت قناة السويس بالنسبة لهذا الشاب عبـارة عن ملكية بريطانية ــ فرنسية صدف انها موجودة في مصر ، لذلك ليس لها أدنى علاقة بفلسطين . كذلك قيل له بأن الفلسطينيين هم عبارة عن مليون فلاح امي يمكن ان يصرخوا ويترافسوا ليوم او لاكثر

ولكنهم لن يلبثوا ان يكيّفوا انفسهم للاوضاع الجديدة . ومن ناحية اخرى راى ضحايا معسكرات الاعتقال النازية وسمع عن حوالي مئة الف نازح كانوا — وليس الفلسطينيون — يدقون بابه طلبا للجوء ، وقيل له انذاك يمكن ان تعمل فلسطين على خلاصه من شبح اللاجىء اليهودي وتحل المسألة اليهودية للابد .

اننا الان نعرف كم كان مخدوعا ، بينما هو نفسه لا يدري ذلك ، كما لا يدري قوة الضربات التي وجهت الى مصالح الغرب في العالم العربي نتيجة لتقسيم فلسطين ، وكذلك لم يقدم له احد قائمة بالخسائر التي نجمت عن اغلاق قناة السويس وايقاف شحن البترول وخسارة الاسواق والمحافظة على المليون لاجىء ، وغزو السويس في سنة ١٩٥٦ ، واغلاق مصفاة حيفا وانابيب النفط فيها ، وتحويل ملايين الجنيهات بالعملة الاجنبية سنويا الى اسرائيل ضمن التبرعات اليهودية ... الخ .

كل هذا كان ليخلص نفسه من مسؤولية مئة الف نازح ، ومع هذا لم تخلّص اسرائيل من شبح اللاجىء اليهودي . من المعروف ان قسما من يهود عدن وليبيه والجزائر هاجروا الى اسرائيل بينما ذهب القسم الباقي منهم الى بريطانيه وايطاليه وفرنسه . وبعد ذلك أجريت محاكمة مضحكة في اسرائيل وحكم على يهود الجزائر بالخيانة . كذلك فان ١٠ بالمئة فقط من يهود تشيكوسلوفاكيه في ١٩٦٨ ذهبوا الى اسرائيل رغم جميع الجهود التي بذلتها المنظمة الصهيونية (٣) ، حتى ان اسرائيل نفسها اصبحت مصدرا للمهاجرين اليهود يدقون على أبواب العواصم الغربية لان عدد اليهود الذين كانوا ينزحون عن اسرائيل في احدى الفترات كان اكثر من الذين يهاجرون اليها ، وكان ذلك قبل « حرب الايام الستة » . ولم يكن هناك اي سبب بالنسبة لغالبية سكان اسرائيل ، شرقيين كانوا أم غربيين ، للبحث عن وطن اخر او ان يفرضوا انفسهم على وطن الاخرين ، لو لم تنشأ اسرائيل ولو لم تحرضهم الوكالة اليهودية على ذلك .

---

(٣) — « جويش كرونيكل » ، ١٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٨ .

ان فاتورة الحساب الكبيرة التي دفعها المواطـن الغربي العادي ولا يزال يدفعها لم تقدم أفضل حل للمسألة اليهودية . وما حصل هو أن مليونين اختاروا الحل الصهيوني بينما اختار الملايين العشرة الاخرون الحل الاندماجي . ويمكن اعتبار تحيز الرأي العام الغربي لجانب الصهيونيين كأحد الامثلة السياسية النادرة على الهزيمة الذاتية التي لا يمكن تفسيرها سوى انها نتيجة للجهـل والمعلومات المغلوطة عن الضحية . واولئك الصحفيون والساسة الغربيون الذين يكتبون عن القضية العربية ويتحدثون عنها ليسوا مجرد مجانين بحب العـرب او أن الملابس العربية المزركشـة استهوتهم ، انهم يهتمون بمصالح بلادهم القومية التي ادركوا انها مهددة نتيجة للصورة غير المتوازنة التي قدمت للجماهير . يمكن ان يكون انحياز امريكه او بريطانيه لجانب اسرائيل لصالحهما او ان لا يكون ، ولكن وبكل تأكيد ليس لصالحهما ان يبقيا انفسهما جاهلين بهذا الموضوع .

لقد أجرت الصحافة مؤخرا مجموعة كبيرة من الابحاث حول مواضيع مختلفة مثل تأثير التلفزيون على الجمهور ، والعلاقة ما بين السينمـا والعنف ، ومعالجة الجريمـة والجنس وغيرهـا من المواضيع التي تكمن وراء القلق العام حول الاشراف اللامسؤول والاناني على آراء الناس واحكامهم من قبل هذه الوسائل الفعالة . ويعتبر كتاب هربرت ماركوس «الانسان ذو البعد الواحد » صورة صادقة للجماهير المعاصرة التي تتحطم رغباتها من أجل التحـرر والعدالة والتقدم الاجتماعي او تتحول الى الضياع او التشكك وذلك بالسيطرة على هذه الرغبات والضمائر وتسييرها (٤) . كذلك اجريت ابحاث مختلفة حول تكوين السياسات التي تؤثر على الاغلبية عن طريق الضغط الفعال والدعاية التي تقوم بها أية قوة او مجموعة ضاغطة ذات مصلحة . ويجب ان تكون القضية الفلسطينية ، كما تعكسها المرآة الغربية ، احدى القضايا التي تستحق الدراسة لتبين طريقة عمل الدول الديمقراطية الغربية . فعلى سبيل المثال ، كيف

---

(٤) ــ ماركوس ، هـ ، « الانسان ذو البعد الواحد » ، لندن ، ١٩٦٤ .

يمكن تفسير انحياز اجهزة الاعلام البريطانية الى جانب اسرائيل بينما تخسر بريطانيه ٢٤٠ مليون جنيه استرليني سنويا نتيجة لاغلاق قناة السويس ، هذا بالاضافة الى خسارة بريطانيه للاسواق العربية خلال واحدة من اخطر الازمات المالية التي واجهت بنك انجلتره ؟ ماذا حل بالابواق التي ارتفع صوتها كهدير الرعد عندما امم عبد الناصر شركة قناة السويس وخرست كليا عندما هاجم دايان قناة السويس واوقف الملاحة في ذلك الممر المائي الدولي؟ لماذا لا يفسح المجال للرأي العام ان يستمع الى جزء من تلك الترنيمة التي ارتفعت بسبب مئة الف نازح بعد الحرب ، تتكرر اليوم باسم مليون لاجىء فلسطيني ؟ لماذا خاض العالم غمار حرب عالمية بسبب ضم المانيه لمدينة المانيَّة بالقوة واستعادها بالعرق والدم من اجل ان يثبت المبدأ القائل بأن العالم لم يعد يحتمل رؤية ضم اراضي دول اخرى بالقوة ، ومع هذا يرى هؤلاء المثقفين والكتاب يديرون عقارب الساعة الى الوراء ويخضعون للامر الواقع الاسرائيلي ؟

تشكل القضية الفلسطينية حقلا فريدا من نوعه لدارسي الديمقراطية الغربية ليس بالقدر الذي تقدم فيه حدسا داخليا بالنسبة لوسائل وطرق تكوين الانسان ذي البعد الواحد فحسب ، بل بخنقها التام للاصوات المناوئة أيضا . ان قصة ودلالات هذه القضية التي يمكن اعتبارها قضية تستحق الدرس بصرف النظر عن الصحيح والغلط فيها ، تمتد على مدى نصف قرن من الزمان وتتشعب الى عدة بلدان ومجتمعات . انها بكل تأكيد تحتاج الى اكثر من الجهد الفردي الجزئي غير المنضبط .

وما هو هام بالنسبة ليهود كل بلد هو المعلومات الصحيحة او الصورة الصحيحة على الاقل . هناك نسبة كبيرة من الصهيونيين ، ربما الاكثرية ، غير مؤمنين ، اذ ان اقلية ضئيلة من هؤلاء يمكن اعتبارهم يهودا عن ايمان ، لذلك نجد انه ليس من مصلحتهم الاهتمام بتحسن ظروف اليهودية، وبالنسبة للقومي اليهودي فانه يعتبر الشتات مرحلة انتقالية، وعاجلا أم آجلا ، ولسبب او لاخر ، سيتمكن اليهودي من الذهاب الى فلسطين . وبما انه لا يشعر بالراحة والحياة العادية

خارج الدولة اليهودية ، فهو يعتقد انه ليس من الضرورة العمل على تحسين أو حفظ أوضاع اية جالية في الشتات الا عندما يؤدي ذلك خدمة لاسرائيل . وما يهم بالنسبة للصهيوني هو النداء القومي ، وحماسة هذا النداء وعصبيته العمياء هما اللتـــان تدفعـــان هذا الصهيوني للتضحية بأي انسان في خدمة هذا الصنم . لذلك فهو لا يشعر بوخز الضمير ان هو لم يبلغ ابناء دينه ما هي الحقيقة ، أو ان يبلغهم نصف الحقيقة والكذبة الصريحة التي تلائم هدفه. وفي الحقيقة لاشيءيمكن انيخدماسرائيل افضل مناساءة معاملةيهود «الشتات». هذه الحقيقة المسلم بها هي التي سببت ولادة مدرسة « الصهيونية المتوحشة » التي يهلل ابطالها للمصائب التي حلت باليهود ويعتبرونها بركات أدت الى تضامنهم ونشوء قوميتهم . لذلك ، فهم يريدون المزيد من النكبات ضد شعبهم ليـــزداد شعورهم القومي التهابـــا ويضطروا عندئذ للهجرة .

لقد ايد يهود العالم البرنامج الصهيوني ، لانه قيل لهم ، بين امور اخرى ، بأنه في حال قيام اسرائيل ، سيعترف بها جيرانها ويرحب بها السكان الفلسطينيون . وبعد ذلك ، قيل لهم ان حربا واحدة حاسمة مع العرب تكفي لجعلهم يعترفون بالدولة اليهودية . والان يدركون ان خبراء وزارة الخارجية في بريطانيه والولايـــات المتحدة الذين كانوا موضع تحقير الصهيونيين هم الذين كانوا على صواب وليس صحفيو المنظمة الصهيونية ودعاتها . كذلك تم اخماد التحذير الذي اشار الى ان تأسيس دولة يهودية في الاراضي المقدسة من شأنه ان يلهب العالم الاسلامي من المغرب حتى الهند وهزء به وقضي عليه . والحقيقة هي ان اللهب لا يزال متقدا في هذا العالم الاسلامي وقصة الصراع المسلح لم تنته بعد . يقول العرب انهـــا البداية الان ، وانباء ايار (مايو) ١٩٦٩ بأن في حوزة اسرائيل خمس قنابل نووية ورد عبد الناصر على ذلك ليس سوى نذير شؤم ، اذا كان هناك من قنابل نووية .

كذلك فان قضية الولاء المزدوج الذي يمكن ان ينشا نتيجة لقيام الدولة اليهودية كان موضع هزء وقد دفن تحت الارض ، كما ان

اليهود الصهيونيين الذين اثاروا هذه القضية أنذروا ثم أخمد صوتهم. والان بدات صرخة « ايها اليهود ،اخرجوا من بلادنا ! » تطلق من جديد وتبعث فيها الحياة بشكل جديد وهو : « اذهبوا الى اسرائيل »، وهي الان تسمع في بولنده وفرنسه ونيويورك واصبح من المفروغ منه بالنسبة لمعظم الناس ان يكون اليهودي مواليـ لاسرائيل . واحدى الفترات الهامة في هذا الصدد هي ما حدث مؤخرا في لندن.

عرف الليبراليون الانجليز بعدم تمييزهم تجاه اليهود ونادرا ما كانت تهمة مناهضة السامية توجه لهم . وقد صمم جيرمي ثورب ، زعيم حزب الاحرار ، مؤخرا على انشاء مؤسسة تعليمية يهودية تخليدا لذكرى سلفه لورد صموئيل، الليبرالي اليهودي. ومع ان الطبيعة التعليمية والمحلية للمؤسسة ما كان يجب ان تثير اي تساؤل في ذهن اي انسـان . فقد اعتبـرت مجموعـة مـن الحـزب ان ذلـك تحيز لا ضرورة له مع اسرائيل ، ونظموا انفسهم في جناح مناهض لثورب (٥) . كما ان اليهود لم يعودوا مؤهلين لاشغال معظـم المناصب في وزارات الخارجية والقوات المسلحة والمصالح البترولية ودوائر الاستخبارات في جميع البلدان بسبب الاشتباه بولائهم لاسرائيل بعد تصرفاتهم الاخيرة . هنا ايضا نحن ما نزال في بداية الطريق .

قد يفتخر يهودي الشتات باسرائيـل او لا يفتخر ، وقـد يبتهج بتوطين عدد من اليهود وضحايا الحرب ، ويعتبر اسرائيـل تحقيقا للنبوءات او يعتبرها بوليصة تأمين في حالة تسلـم حزب نازي اخر للسلطة فلا يجد مكانا اخر للذهاب اليه . ومع هذا ، فالدراسة الدقيقة والموضوعية لبوليصة التأمين لها الاولوية بالنسبة لاي مواطن له ذهنية تجارية . انه من مصلحة اليهودي أن يعيد التوازن الى تصوره المسألة الفلسطينية وان يتفحص قطعة النقود جيدا من الجانبين . وعليه بدلا من خنق صوت العرب والمناهضين للصهيونية ان يفسح امامهم الفرص التي يريدونها . ان حكما غيابيا تتخذه اية محكمة يعتبر أضعف انواع الاحكام التي يمكن ان تصدرها هذه المحكمة .

---

(٥) ـ « دايلي ميل » ، ٩ ايار (مايو) ١٩٦٩ .

مصادر البحث

فيما يلي قائمة ببعض المصادر الرئيسية التي تمت الاستعانة بها لاعداد هذه الدراسة ، بالاضافة للنشرات الدورية والصحف والمعلومات الخاصة .

المصادر الرئيسية ــ بالانجليزية

ــ بيجن ، م. « الثورة » ، لندن ، نيويورك ، ١٩٥١ .

ــ برنادوت ، الكونت فولك . « الى القدس » لندن ، ١٩٥١ .

ــ يوميات ثيودور هرتزل الكاملة . نيويورك ، ١٩٦٠ .

ــ وثائق حول السياسة البريطانية الخارجية ، ١٩١٩ ــ ١٩٣٩ ، السلسلة الاولى ، المجلد الرابع .

ــ وثائق تتعلق بقضية فلسطين ، الوكالة اليهودية ، ١٩٤٥ .

ــ يوميات فورستال ، تحرير و. ميلز ، كاسل وشركاه ، لندن ، ١٩٥٢ .

ــ استجواب أمام لجنة الشؤون الخارجية ، مجلس الشيوخ الاميركي ، ١٩٦٣ .

ــ نشاطات الممثلين غير الديبلوماسيين للرؤساء الكبار في الولايات المتحدة .

ــ هرتزل ، ث. « الدولة اليهودية » . لندن ، ١٩٣٤ .

ــ هورن ، جنرال كارل فون . « الجندية من أجل السلام » ، لندن ، ١٩٦٦ .

ــماينر تزهاجن ، ر. « يوميات الشرق الاوسط » ، مطبعة كريسيت ، لندن ، ١٩٥٩.

ــ تقرير اللجنة التنفيذية الى المؤتمر الصهيوني السابع عشر والثامن عشر .

ــ تقرير لجنة بيل ، ١٩٣٧ ، رقم ٥٤٧٩ .

ــ وايزمن ، حـ. « التجربة والخطأ » ، هامش هملتون ، لندن ، ١٩٥٠ .

المصادر الثانوية ــ بالانجليزية

ــ بيرنز ، الجنرال ا. ل. م. « بين العرب والاسرائيليين » ، جورج هارب وشركاه ، لندن ، ١٩٦٢ .

ــ فرانسيس ، و. « ايرنست بيفن » ، هتشنسن ، لندن ، ١٩٥٢ .

ــ هالبرين ، س. « العالم السياسي للصهيونية الاميركية » ، ديترويت ، ١٩٦١ .

ــ كيمشي ، ج. « الاعمدة السبعة المنهارة » ، مارتن سكرو واربج ، لندن ، ١٩٥٣ .

ــ كيرك ، ج. « استعراض الشؤون الدولية » ، الشرق الاوسط ، ١٩٤٥ ــ ١٩٥٠ ، المعهد الملكي للشؤون الدولية ، لندن ، ١٩٥٢ .

ــ ليفنبرج ، س. « اليهود وفلسطين » ، لندن ، ١٩٤٥ .

ــ ليلنتال ، أ. « ثمن اسرائيل » ، هنري ريجنري ، شيكاجو ، ١٩٥٣ .

ــ ليلنتال ، أ. « الوجه الاخر للعملة » ، نيويورك ، ١٩٦٥ .

ــ مكدونالد ، ج. « مهمتي في اسرائيل » ، فكتور جولانز ، لندن ، ١٩٥١ .

ــ مهدي ، م. « شعب من الاسود المقيدة » ، مطبعة العالم الجديد ، سان فرنسيسكو ، ١٩٦٤ .

ــ منوحين ، م. « انحلال اليهودية في عصرنا » ، ١٩٦٤ .

ــ شوبهام ، ن. « الاذاعة والمجتمع » ، لندن ، ١٩٦٧ .

ــ سوكولو ، ن. « تاريخ الصهيونية » ، لونجمان جرين وشركاه ، لندن ، ١٩١٩ .

ــ شتين ل. « وعد بلفور » ، فالنتين ميتشيل ، لندن ، ١٩٦١ .

ــ ستيفنز ، ب. ر. « الصهيونية الاميركية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة » من ١٩٤٢ ــ ١٩٤٧ ، نيويورك ، ١٩٦٢ .

ــ سايكس ، سي. « مفترق الطرق الى اسرائيل » ، كولينز ، لندن ، ١٩٦٥ .

ــ تايلور ، أ. ر. « تمهيد لاسرائيل » ، دارتون ، لونجمان وتود ، لندن ، ١٩٦١ .

ــ تريناman ، ج. وماك كويل ، د. « التلفزيون والصورة السياسية » ، لندن ، ١٩٦١ .

ــ زيف ، و. ب. « اغتصاب فلسطين » ، نشر سان بوتولف ، لندن ، ١٩٤٨ .

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

أسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

(٢) سلسلة « حقائق وأرقام »

(٣) سلسلة « أبحاث فلسطينية »

(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »

(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »

(٦) خرائط وصور فلسطينية

(٧) سلسلة « نشرات خاصة »

السعر ٢٠٠٠ ل.ل.